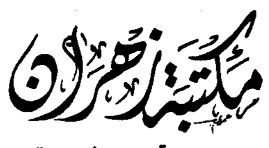
فيوليت وينسبير

توأم التنين



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

DRAGON BAY

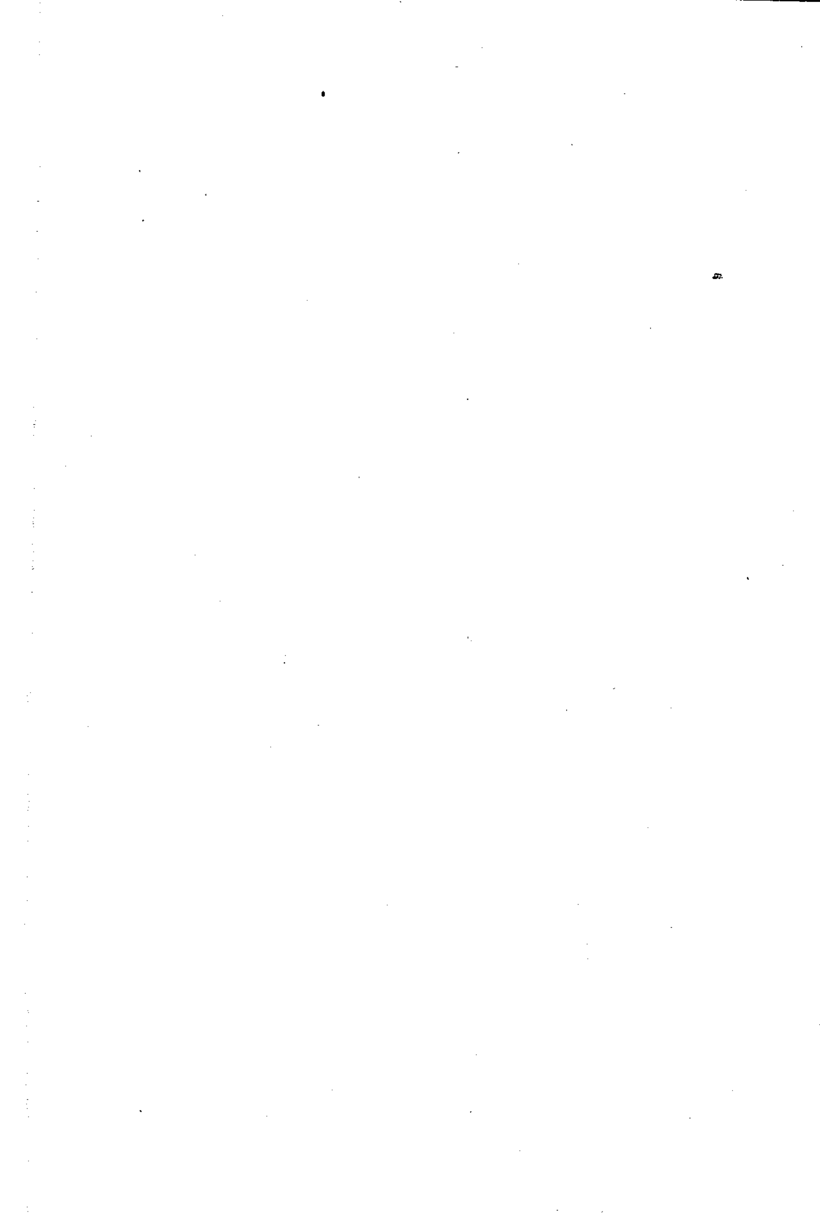


روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!



١ ـ جزيرة التنين

رسا يخت فاخر أنيق يرتفع على ساريته علم يوناني في مرفأ فورت فرنائد وهي جزيرة في البحر الكاريبي . ونزلت من اليخت شابة صغيرة في الحادية والعشرين من عمرها، نحيلة، ترتدي سترة زرقاء ضيقة من قماش سميك فوق سروال، وتعتمر قبعة أنيقة فوق شعرها الأسود الطويل.

كانت عيناها سوداوين عميقتين كأنهما بركتان ويسبح فيهما المرح. وفي أذنيها قرطان من الذهب عندما ينعكس عليهما النور. يرسلان بريقاً يضفي على وجنتيها شحوباً ذهبياً عندما ينعكس عليها النور.

قالت باليونانية:

ـ يبدو ان هذا المكان فندق.

كانت تكلّم البّحار الذي يسير معها وهي تشير الى بناية تطل منها شرفات مزخرفة وأمامها ساحة فسيحة فيها نخيل تتخلله مشاتل من الزهور الحمراء:

ـ سأبقى هنا بضعة أيام.

تلفتت حولها لتتعرف الى البيئة الاستوائية التي وجدت نفسها فيها. كانت المراكب الشراعية في المرفأ تهتز مع النسيم ورائحة السمك والتبغ تتسرّب من الاكواخ البالية التي أكلتها حرارة الشمس والرياح المالحة القادمة من البحر.

كان شيخ يدخن غليونه تحت الجدران البيضاء. ونظر اليها بعينيه السوداوين محّيياً فردّت له نظرته. وللحال عرفت أنها في القسم الفرنسي للبحر الكاريبي بعيداً عن شواطىء بلادها اليونان.

وصلت مع البحار الى الفندق وحمل حقائبها الى الداخل. ودّعته باليونانية قائلة:

ـ أخبر أخي انني في جزيرة دي لوك من أجل عطلتي. سأعود لاحتفل معهم بعيد الميلاد الثالث لابن أخي العزيز.

ابتسم البّحار لها. كان قد أمضى فترة طويلة يعمل في خدمة آل ستيفانوس. ويعرف المحّبة القوية التي تربط بول وشقيقته كارا بالرغم من ان والدتها غير والدته.

وبالرغم من بلوغ كارا سن الرشد الا أنها تبدو شابة يافعة. عيناها السوداوان الواسعتان يختلط فيهما الحزن والمرح، وتبدو رائعة حين تضحك أو ترفع ابن أخيها الصغير دومنيك بين ذراعيها وهي تلاعبه.

قال البّحار:

ـ وداعاً آنسة كارا. اتمنّى لك عطلة سعيدة.

فأجابته وهي تبتسم:

ـ شكراً. اتمنى لك عودة سالمة.

وتقدمت من مكتب الاستقبال في فندق فيكتوار فقرعت جرساً صغيراً فوق المكتب سمع صداه في ارجاء الفندق. كان الهدوء يخيّم على الصالة ولا يقطعه سوى صوت المروحة التي تدور متدلية من السقف. وحضر على الفور موظف من مواليد جزر الهند ينطق بالفرنسية يمشي متثاقلاً ويبدو على وجهه النعاس. خرج من غرفة صغيرة خلف المكتب، وكان يبتسم ابتسامة مصطنعة وهو يحاول ان يلبس السترة البيضاء المجعدة.

وجدت غرفة لها في الفندق. فموسم السياحة لم يحن بعد والفندق نصفه فارغ. وقدّم لها موظف الاستقبال السجلّ لتكتب فيه اسمها وعنوانها وتوقعه. كانت عيناه تلاحقانها وهي تقوم بهذا، وقرأت في السجلّ اسم شخص منفرد في السطر الذي يعلو اسمها: لوكان سافدج... من سكان خليج التنين في جزيرة دي لوك.

ابتسمت كارا وقالت في نفسها... ما هذا الاسم الوحشي والعنوان الاكثر وحشيه! ربما هما لشخص خنوع مثل الفأرة.

قرع الجرس فوق المكتب مرة ثانية. وعلى الفور حضر غلام كان يجلس تحت ظل النخيل وحمل لها حقائبها الى المصعد الذي يشبه قفصاً مكوناً من

القضبان الحديدية. كانت غرفة كارا في الطابق الثاني في منتصف الممر. . . واسعة، لها شرفة صغيرة وتشرف على ساحة الفندق الرئيسية. أثاث الغرفة قديم ويعود في تاريخه حتماً الى عهد المستعمرات.

تكلم الغلام بلكنة فرنسية غريبة وأخبرها أن الحمام في نهاية الممر. وان الماء الساخن يتوفر في المساء من كل يوم وقال:

ـ هناك دوش يا آنسة. المياه الساخنة في الفندق للسواح فقط. هل أنت سائحة؟

أجابته بلغة فرنسية صحيحة تعلمتها في المدرسة:

ـ نعم انني سائحة.

دهش الغلام وسرّ كثيراً بالإكرامية التي نقدته إياها.

ـ هل ترغبين في دليل سياحي؟ استطيع ان ارافقك الى المدينة وأريك معالمها.

ـ ربما احتجت اليك. ما اسمك؟

قالت ذلك وهي ترشده الى خارج الغرفة.

ـ نابوليون. ويمكنك ان تناديني باختصار ناب

قالت وهي تضحك:

ـ حسناً يا ناب.

كانت كارا تستطيع ان تتعامل مع الصغار والكبار بسهولة.

ـ ساصفّر لك ان أردتك.

قال ناب:

ـ حسناً. . .

ثم خرج الى الممر المعتم. كانت الستائر مسدلة لتحول دون دخول حرارة الشمس. وأغلقت كارا باب غرفتها. ثم خلعت قبعتها وسترتها ومرّت بأصابعها في شعرها الطويل الأسود. شعرت بخشونته من تأثير الشمس والمياه المالحة وتنهدت وهي تسرح بفكرها. . . ان الفتاة التي تزوجها نيكوس امريكية وشعرها أشقر وبشرتها صفراء شاحبة. انها جميلة ولكنها مدلّلة.

فتحت حقائبها وبدأت توضّب أشياءها في الحال. وأمسكت بفستان من الكتّان فكرت بأنها ستلبسه هذا المساء فوضعته على مسند الكرسي.

وأخرجت كلسات النايلون ووضعتها على خشب السرير ثم تناولت بروازا جلدياً وحدقت بالصورة العائلية التي يحتويها. كانت صورة شقيقها بول وهو يطوّق خصر زوجته النحيلة دوميني بشكل حازم، وقد جلس قربهما صبي صغير يشع من عينيه بريق غريب كان بول يمسكه بيده الثانية.

تذكرت كارا كيف ان شقيقها العزيز بول كان مريضاً وكيف ان العناية الالهية أعادت اليها شقيقها ومحبته الكبيرة.

وتذكرت يوم استلمت الرسالة التي أطاحت بحلمها الكبير وحبها الوحيد. كانت كلمات الرسالة تلاحقها مثل اغنية شائعة. تقول:

عزيزتي كارا

اعرف انك ستفهمين موقفي وستسامحينني. لقد وعدتك بالزواج وأقسمت على ذلك... تجاهلت الحب من أول نظرة. حب الغريب للغريب. وهذا ما حصل لي وغيّر مجرى حياتي وكل قراراتي وخططي السابقة.

لقد تزوجت يا صديقتي اليونانية الصغيرة. اسم زوجتي سيسلي. تقابلنا بعد وصولي الى بوسطن بقليل. وكنت حضرت الى أمريكا لأدير أعمال الشحن من هنا في هذا القسم من العالم. انني أحبها كثيراً. اعرف تماماً أنه الحب الحقيقي الذي يصادفه الرجل ويشعر بقوته مرة واحدة في حياته.

وانت ايضاً يا كارا ستجدين الحب مثلي وستسعدين ذات يوم.

كيف اسعد واهناً بدون نيكوس؟ انه رفيق عمري، طفت معه تلال اليونان وهضابها. سبحت معه واصطدت اسماك البحر الأيوني. سرقت العسل من خلايا النحل الاسود في ضواحي انديلوس المزهرة. شاركته معظم افراحي واتراحي وطفولتي وصباي. لقد خسرته لامرأة اخرى تسكن في النصف الآخر من العالم.

اقترحت دوميني عليها هذه الرحلة... للنسيان. وقد اقنعت بول بأن يضع تحت تصرفها اليخت الفاخر الذي تملكه شركة ستيفانوس للنقليات البحرية والتي تجوب أساطيلها البحار.

وضعت كارا الصورة العائلية على الطاولة بين السريرين. عندما يعود اليخت الى انديلوس ويخبر القبطان شقيقها بول بأنها نزلت هذه الجزيرة في

البحر الكاريبي، سيغتاظ كثيراً. وستكون مهمة دوميني أن تهدىء من روعه. ستقول:

- ياأستاذ بول يا زوجي القوي، عليك ان تعترف بأن كارا بلغت الحادية والعشرين من عمرها. انها امرأة بلغت سن الرشد. لها عقل وتستطيع ان تقرر حياتها بنفسها. انها ترغب الأن بالانفراد قليلاً. فعليها ان تنسى الماضي وتفكر بالمستقبل دون نيكوس. ولن يصيبها أذى. فهي تستطيع أن تحسن التصرف وبحكمة. انها تحمل في عروقها دماً انكليزياً ورثته عن والدتها سيذيب الطيش اليوناني لديها.

نظرت كارا الى نفسها في المرآة. انها يونانية مثل بول تحمل دماً انكليزياً ورثته عن والدتها.

قال لها نيكوس مراراً... انت تسبحين كالفقمة وتتسلقين الجبال كالصبيان. كانت تحب مديحه. ولكنها لم تفهم الا اليوم ان مديحه لها يختلف عن مديحه لزوجته سيسلي. وها هي الآن وحيدة مع أحزانها بعد كل شيء.

لامست بخفة وحيد القرن الصغير المعلق بأسورتها وكانت هدية من زوجة أخيها دوميني. دوميني أخبرتها ان وحيد القرن سيجلب اليها السعادة. والسعادة تحير. علينا ان نصارع وجع القلب قبل ان يفعل وحيد القرن سحره.

لم تكن كارا تؤمن بالقوى السحرية. وأية قوة في العالم لا تستطيع ان تضمد جراح قلبها أوتلملم أشلاء احلامها وحطام قلبها الكسير.

كان الهدوء مخيماً وقت القيلولة. لاشيء غير صوت المراوح تدور في السقف وازير الحصاد في الخارج. نزلت كارا السلالم الحديدية وخرجت الى الساحة امام الفندق. وجلست في ارجوحة ظليلة تتأرجح في الهواء بلطف وهي [illegible]ل ان تنسى.

كان [illegible]لاء الفندق يتناولون طعام العشاء في غرفة الطعام الفارغة. وجلست [illegible]ارا الى طاولة تجول ببصرها في الجالسين. رأت رجلاً متوسط العمر شعره قليل، يجلس قرب النافذة. ابتسم لها. فابتسمت وتساءلت.. هل هو صاحب الاسم لوكان سافدج من خليج التنين؟

- هل قرر[illegible] المدام ماذا ستأكل.

سألها الخا[illegible]م وقد أعجبه طقمها الأبيض المزدان ببعض الرسوم على

ياقته.

سألته:

- ما هو لامبي؟

- انه صدفة محارة تحضر على طريقة أهل جزيرة دي لوك مع التوابل والارز. هل ترغبين في تجربتها؟

- نعم. كذلك أريد مزيجاً من ثمر الأفوكاته مع القريدس الطازج. ارجو ان لا يكون لحم المحارة يشبه في طعمه لحم القريدس.

قال الخادم:

- لا ياسيدتي. ستجدين محار البحر الكاريبي لذيذاً جداً.

كان الطعام مطبوخاً بتوابل غريبة المذاق. أكلت وطلبت القهوة. ونظرت من النافذة الى الاضواء التي تسطع على سطح المياه. المراكب في المرفأ تهتز بفعل الرياح الخفيفة. وظلال أشرعتها تظهر باشكال متموجة في مرآة الماء. ثم غابت الشمس واحتل القمر مكانها... وتسرّبت الى أنفها روائح ذات نكهة مميزة ونافذة، وعطر النباتات الاستوائية المثقل بالأحلام.

كان ضوء القمر يغري بالخروج. أنهت كارا قهوتها وخرجت تفتش عن ناب في ساحة الفندق. كان ينتظر في المدخل قرب شجرة نخيل. وقفز لتوّه حين وصلت. قالت له:

- أريدك ان تريني فورت فرناند في ضوء القمر يا ناب.

وخرجا سوية الى الشارع يتمشيان ويحاولان ان يتفاهما بالفرنسية. كان ناب يتشدق كمن يتثاءب في لهجته الكاريبية. سمعته يذكر كلمة احتفال وفرحت كثيراً. قالت:

- أحب ان اتفرج على الاحتفال ياناب.

- ظننت ذلك. الناس هنا يرقصون ويغنون عندما يحتفلون. ألا يفعلون ذلك عندكم يا آنسة؟

- نعم. نحن أهل اليونان نحب ان نغني ونرقص في مناسبات الميلاد او العرس او الولادة. حين ولد لأخي صبي بقي الناس في قريتنا يرقصون طوال الليل. اشعلوا المفرقعات وأناروا البواخر في المرفأ. شووا الاغنام وحمروها...

تنهدت تنهيدة عميقة وهي تتذكر تلك المناسبة السعيدة والفرح يطل من

عيني بول.
- شقيقك رجل مهم يا آنسة؟
- نعم. هو مهم لأننا نحبه ونحترمه ونفخر بشجاعته الكبيرة.
قال ناب:
- مثل السيد سافدج هنا. انه رجل عظيم في جزيرة دي لوك. يعمل العديد من الناس لحسابه. انه يملك مزارع السكر والكاكاو في خليج التنين واسطبلاً للخيل و...
- السيد سافدج. لقد رأيت اسمه في سجل الفندق.
- السيد لوكان سافدج هو الشقيق الأصغر. انه شيطان يا آنسة. يجوب الجزيرة راكباً حصانه القوي وخلفه كلبه الكبير. قام لوكان بأعمال مخجلة جعلت الناس تتهامس قصصه همساً.
وانخفض صوت ناب الى الوشوشة مما جعل لجملته تأثيراً فعالاً.
- ان اسمه سافدج وأعماله مماثلة لاسمه. أي شرسة ووحشية...
نسيت كارا كل شيء عن لوكان حين وصلت الى مكان الاحتفال مع ناب. كان في سهل معشوشب فوق المرفأ، حيث تتلألأ الانوار وتسمع الضحكات الرنانة مختلطة بالصخب والضجيج.
كان هناك حشد من الناس في مكان فسيح يتفرجون على عراك حيّة ونمس. تراجعت كارا هرباً من هذا المنظر الوحشي وأكملت طريقها الى مكان آخر تخرج منه أصوات الموسيقى الراقصة. ورأت أرجوحة كهربائية مقاعدها على شكل حيوانات خشبية. حين توقفت عن الدوران صعدت اليها. كانت صدفة عجيبة ان تختار تنّيناً لتركبه. وكانت تضحك من كل قلبها والارجوحة تدور بها على أنغام الموسيقى.
صرخ ناب وهو يتعلق برقبة حصان البحر:
- هل تحبين هذه اللعبة؟
أجابت بفرح عارم:
- نعم. لم أشعر بمثل هذه السعادة منذ زمن طويل.
ادركت كارا انها محظوظة لاختيارها هذا المكان. منذ توقف اليخت في فورت فرناند شعرت بإغراء كبير للبقاء في هذه الجزيرة الكاريبية الحالمة.
كان التنين يسرع وهو يدور بها. وكلما أسرع كلما ارتفعت الاصوات

بالصراخ.

ونزلت من الارجوحة حين توقفت عن الدوران. شعرت بعطش كبير فاشترت زجاجتين من العصير لها ولناب وشربتها بواسطة القشة. وكانت تتفرج على الراقصين في بقعة اخرى يتمايلون على أنغام الطبول الصغيرة الموضوعة بين الركبتين وسط قناديل تشع وسط العتمة وانغام الطبول القوية الصاخبة التي توحي بطقوس بدائية. كان بعض الشباب يرقصون رقصة محلية مثيرة... ينحنون تحت خشبة ترتفع قليلاً عن سطح الارض، وكلما مروا من تحت الخشبة يخفض ارتفاعها قليلاً.

أخذت كارا تمشي على غير هدى. وصلت بعد قليل الى خيمة العرافة. كانت الفتيات تدخلن الخيمة وتخرجن منها وهن يضحكن مقهقهات. سألها ناب وهو يضحك:

ـ هل ترغبين في أن تقرأ لك الماما ماي مستقبلك؟

ـ انها خرافات.

قالت ذلك وتذكرت الغجرية التي تنبأت لها قائلة... ستسافرين ذات يوم بحراً وستقابلين شاباً طويلاً جميلاً... لقد سافر نيكوس وحده ولم تسافر معه. وحين يعود الى الجزيرة اليونانية انديلوس سيجلب معه عروسه الشقراء. تنهدت كارا على ذكرياتها الاليمة. ووصل الى سمعها صوت أمواج البحر تلطم الشاطىء.

سألها ناب من جديد:

ـ وهل تخافين قراءة المستقبل؟

ـ بالطبع لا.

ابتعدت عن الخيمة وهي تقول.

ـ حان الوقت لنعود الى الفندق. ولم تتم كلماتها حتى انفتح باب الخيمة وظهرت امرأة بدينة تضع على رأسها عصبة مزركشة ومعقوصة على الطريقة الكاريبية يتدلى من أطرافها الخرز الملون. كانت نظراتها حادة نفاذة وتغطي وجهها تجاعيد كثيرة.

قالت ماما ماي:

ـ ادخلي يا عزيزتي ودعيني اقرأ طالعك.

ـ لا أريد. انا لا أؤمن بهذه الخرافات. لقد قيل لي سابقاً انني سألتقي رجلاً

غريباً طويلاً . . .

حدقت ماما ماي بكارا ثم نظرت الى ناب وقالت:

ـ هل تقيمين في فندق فكتوار؟

وضحكت الغجرية ضحكة مجلجلة جعلت القرطين في اذنيها يهتزان وأكملت:

ـ ستقابلين رجلاً غريباً ياعزيزتي الا اذا غادرت جزيرة دي لوك. في شعره نار.

قالت ماما ماي ذلك واغلقت باب الخيمة واختفت في الداخل. رفعت كارا ذقنها بحنق وقالت:

ـ الرجل هذه المرة ليس أسمر، على غير العادة.

ثم التفتت الى ناب وقالت:

ـ تعال.

أطاعها الصبي وتركا الاحتفال مسرعين باتجاه الفندق. لم تتكلم مع ناب في طريق العودة. وعندما وصلا الى قاعة الفندق نظر ناب اليها مستفسراً وقال:

ـ هل سترحلين يا آنسة عن الجزيرة؟

ـ بالطبع لا. ونظرت اليه مستغربة وهي تحمل مفتاح غرفتها بيدها.

ـ هل هناك مياه ساخنة الليلة يا ناب؟

اومأ لها ناب برأسه. فضحكت وتركته ليذهب. قال يودّعها:

ـ طاب مسلؤك يا آنسة.

ـ ليلة سعيدة يا ناب.

قالتها باليونانية وصعدت الى غرفتها في الطابق الثاني. كانت تحمل رقم ستة عشر. وشعرت بالتعب ولكنها فكرت بأن للماء الساخن سيسهل عليها عملية النوم.

كان الممر ساكناً ومعظم الغرف خالية من الزبائن. الحمّام في نهاية الممر. وسمعت بوضوح تام صوت الدوش حين فتحت باب غرفتها وأشعلت النور.

تمنت ان ينتهي الشخص الذي يستعمل الدوش بسرعة. لبست ثوب الحمام ووقفت تحمل كيساً فيه الصابون والاسفنجة والمنشفة مستعدة لأخذ

حمامها. وسمعت باباً يغلق بقوة في الممر كأن الذي أغلقه لا يهمّه ازعاج احلام النزلاء في الليل. فتحت كارا بابها وانصتت الى صوت الدوش. لقد صمت. كل شيء صامت وهادىء. واطفأت النور في غرفتها فبقي نور القمر يغمرها وحده. وسارت الى آخر الممر حيث الحمام.

كان الشخص الذي استعمل الحمام قبلها ترك أثر رجلين كبيرتين فوق البلاط الاسود الذي يغطي الارضية. انه رجل ولا شك. وفتحت الحنفية لتملأ المغطس القديم بالماء الساخن. رشّت بعض املاح الحمام المعطرة برائحة الحور. وتنشقت الرائحة الذكية فجنحت بمخيلتها الى غابات الحور في انديلوس. انه شجر طويل ذو نكهة خاصة ورائحة نفاذة. وملأت الدموع مآقيها. حتى لو رغبت في مغادرة جزيرة دي لوك الآن فلن تستطيع، لأن يخت شقيقها قد غادر الميناء. انها الآن سجينة اندفاعها الذي أوصلها الى هذا الشاطىء. ستبقى هذه الليلة. والحمام الساخن سيهيىء لها الراحة التي تنشدها لتغط في نوم عميق.

أنهت حمامها بعد ساعة. وخرجت موردة الخدين ناعسة تتثاءب وهي تمشي الى غرفتها... وكانت قد نسيت أن تغلق بابها. خلعت عنها ثوب الحمام دون ان تشعل النور.

وأتاح لها ضوء القمر ان تصل الى أحد السريرين. كان الارهاق يتغلغل في أحاسيسها مثل العنكبوت. وتنهدت قبل ان تستسلم للنوم وهي تكاد تختفي تحت شبكة الناموسية.

كانت سحب من دخان السيكار تنساب من الشرفة ولكن كارا لم تر شيئاً وبعد قليل دخل رجل طويل القامة من الشرفة. دخل مع ضوء القمر ولم تلاحظه كارا. وخلع عنه سترة البيجاما ثم دخل تحت الخيمة الشبكية في السرير الثاني. هو أيضاً لم يلاحظ وجود كارا.

٢ ـ البحر في الليل

استيقظت كارا فجأة بعد أن فتح باب الغرفة وسمعت صوتاً يقول:
ـ قهوة الصباح يا سيدي.
كان الخادم يقف خارج الناموسية بين السريرين. وفتحت كارا ناموسيتها لتعّرفه انها انثى وليست ذكراً. كانت ستمسك بفنجان القهوة لو لم تفتح الناموسية الثانية في السرير الثاني وتمسك يد اخرى بالفنجان. كانت يداً مشعرة. واهتزت كارا من المفاجأة حين وقع نظرها على الرجل في السرير الثاني.
له عينان خضراوان رماديتان، ولم تتحرك حين تفحّصها... شعرها، فمها، عنقها ثم عاد ليركز على عينيها السوداوين الناعستين. ثم قال ببرود يخاطب الخادم:
ـ فنجان آخر للسيدة الشابة.
ـ حاضر يا سيدي.
ضحك الخادم ضحكة لها ألف معنى وأغلق خلفه الباب. بقيت كارا وحدها مع الغريب المتغطرس ذي الشعر الأحمر والذي لم يظهر عليه أي ارتباك من هذا الموقف. نظر الى كارا وقال:
ـ زيارة غير منتظرة... زائرة للفطور.
تكلم بالفرنسية ولكنها شعرت انها ليست لغته. حاولت النطق ولكن المفاجأة عقدت لسانها. واخيراً عاد اليها صوتها وقالت بسرعة:
ـ هذه غرفتي. ماذا تفعل هنا؟
قال وهو يبتسم كأنه يلهو:

ـ آسف ان أخالف رأي السيدة. انها غرفتي انا. انظري حولك في اشيائها.

فنظرت حولها. هناك قميص رجالي أبيض مرمي على الكرسي بدون ترتيب. وفرشاة للشعر وعدّة الحلاقة. أما على الطاولة فلا صورة عائلية... واحمرّ وجهها خجلاً.

ـ أنا آسفة.

بدأت تغادر السرير ولكنه بصوت آمر كأنه السوط أمرها أن تبقى في مكانها. كانت عيناه الخضراوان مسلطتين على رجليها اللتين ترتجفان فوق الارض مثل جناحي عصفور خائف.

ـ رجلاك صغيرتان جداً. انت لست فتاة هوى على ما أعتقد؟

كان ينظر الى حمرة الخجل التي علت وجهها.

ـ وهل خاب ظنك؟

ثم أكملت:

ـ انها غلطة فادحة ياسيدي. لا بد انني اخطأت في رقم غرفتي.

ـ رقمي ١٩. ما هو رقمك؟

ـ رقمي ١٦. كانت عيناه كعيني حيوان مفترس علق في فخ حين خرج من السرير ومشى حافي القدمين الى الباب. فتحه ونظر. ثم ضحك. انه شيطان كبير يتلذذ بمثل هذه الظروف التي تضع الآخرين تحت رحمته.

ـ يبدو ان الرقم ٩ انقلب الى وضع جعله يبدو ٦.... على كل حال، لا يمكنك ان تتركي غرفتي الآن ياسيدتي الصغيرة. ليس بعد.

ـ ماذا تعني؟

تراجعت في سريرها بعد أن اغلق الباب ووقف داخل الغرفة. كان طويلاً، عريض المنكبين، واسع الصدر، يضج بالرجولة، لوّحته الشمس كأنه يمضي معظم وقته في الهواء الطلق.

ـ لو كنت رجلاً مهذباً ستسمح لي بالعودة الى غرفتي هذه اللحظة.

ـ ألا ترين انني مهذب؟

كانت عيناه الخضراوان ساحرتين وهما تغمزان لها بطريقة شيطانية. نظرت اليه كارا وتسارعت نبضاتها. ثم قالت:

ـ تبدو لي شريراً..

واضافت فجأة:
ـ الخادم في طريقه الينا مع فنجان القهوة وسأصرخ طالبة النجدة.
ـ كم سيكون ذلك مسلّياً... فتاة أمضت ليلتها في غرفة نوم غريب تصرخ في الصباح طالبة النجدة. لن يهتم الخادم لصراخك. انه فرنسي ويفهم ان وقت انقاذك قد تأخر يا آنستي الصغيرة. انت الآن على علاقة مع لوكان سافدج. وجميع سكان جزيرة دي لوك يعرفون من أنا. انه لا يطلب الرحمة من أحد ولا يرحم أحداً.
سألت مذعورة:
ـ أنت؟ انت لوكان سافدج؟
ـ في خدمتك يا آنسة!
وانحنى لها ساخراً. كان لا يرتدي سوى بنطلون البيجاما الا ان شكله يدلّ على انه اعتاد ان يعطي الاوامر لا أن يتلقّاها. كان فاراً يمتطي أجود الخيل ولا يختار إلا الأفضل. تفحّصته كارا وتأكد لها انه يملي شروطه الخاصة ولا يستطيع أحد ان يؤثر عليه. قال:
ـ أرى انك سمعت بي مع انك وصلت حديثاً الى الجزيرة.
وبينما كان يتكلم تراجع عن الباب ولبس ثوباً فوق البيجاما وهو يفتش عن نعليه. لقد أحس انها باقية ولن تركض هاربة الى الباب. كانت غريزة الهرب تسيطر عليها. ولكنها عرفت انها تتعامل مع رجل شرس، سريع الغضب كالنمر سينقض عليها بيديه الكبيرتين القويتين. شعرت بضآلتها قربه. وجلس لوكان على حافة سريره يتفحصها بإمعان.
ـ لا استطيع ان أخمّن جنسيتك بسهولة...
ـ اسمي كارا ستيفانوس. انا في اجازة في البحر الكاريبي. اليونان وطني.
ـ اذن انت يونانية... ألا توجد كلمة يونانية للصدفة التي تجمع غريبين دون ميعاد؟
حدقت فيه بعينيها الواسعتين وقالت:
ـ الكلمة هي ميرا وتعني القدر.
ثم سمعت نقراً على الباب فشعرت بالارتياح: تنحنح الخادم ودخل يحمل صينية الفطور وقال:
ـ أحضرت الفطور لكما.

وكان يتكون من القهوة الساخنة وفطائر بالزبدة والفاكهة. كان الخادم لا يخفي ضحكته وهو يجول بنظره بينهما واحمرت وجنتا كارا خجلاً. لقد اخبرها ناب البارحة ان السيد سافدج شهير بغرامياته التي يتهامس بها سكان الجزيرة.

قال لوكان:

ـ سنتناول فطورنا على الشرفة. ونظر الى ثوب الحمام الذى خلعته كارا البارحة قبل نومها وتركته قرب السرير. تذكرت سرورها بالاحتفال وتعبها الشديد الذي كان كافياً ليجعلها تضل الطريق الى غرفتها وتمضي الليل في غرفة رجل غريب.

تبعت لوكان الى الشرفة وكان شعره بلون النار تحت أشعة شمس الصباح. وتذكرت العرافة وهي تحذرها من لقاء رجل غريب شعره بلون النار. تذكرت كيف اقترحت عليها مغادرة فورت فرناند في الصباح. لم تأبه كارا لتحذيرها بالأمس ولكنها الآن وبعد أن قابلت لوكان سافدج لا بد لها من مراجعة النبوءة. جلست كارا على كرسي قبالة لوكان وكانت الشمس ساطعة بحيث شعرت بالامان في صحبة هذا الرجل الذي لا يؤمن جانبه.

صبت القهوة لهما ثم راقبته يأكل فطيرة مع الزبدة. قال:

ـ اليس غريباً ان نجلس هنا جلسة بريئة؟

ـ سأتناول قهوتي ثم أرحل. من المؤكد أنك صيد ثمين ياسيدي ولكن اية فتاة مهما كانت بريئة تعرّض نفسها للشبهات والفضائح اذا شوهدت معك.

ـ أنت لا تحبينني أبداً اليس كذلك؟. انك تفكرين لو كنت شهماً لما سمحت للخادم بالتكهّن بما هو واضح. ياصغيرتي الشابة لا يمكنني أن أهرّبك الى غرفتك دون ان يراك الخادم. كنت تنظرين اليه بعينيك الواسعتين وأنت تنامين موردة الخدين قرب فراشي.

ـ كان يمكنك ان تشرح له أنك صفقت الباب الخارجي بقوة الليلة الماضية مما قلب الرقم ٦ الى ٩ وانني دخلت غرفتك بدلاً من غرفتي؟

ـ ولماذا لم تشرحي انت له بدلا من بقائك صامتة؟

ـ انعقد لساني وغابت عني الكلمات. حاول ان تضع نفسك مكاني. تستيقظ صباحاً في غرفة رجل غريب في فندق غريب وبلد غريب،

وتكتشف انك امضيت الليل كله في غرفته.
ضحك ضحكة لذيذة مما زاد في نكهة الموقف.
- سأغادر جزيرة دي لوك اليوم!
- تهربين؟
قال ذلك وتوقف عن الضحك.
بدأت تتسلى بالتقاط فتات الخبز عن الطاولة دون ان تجيب.
- أنت هنا لهذا السبب؟ انك تهربين من شيء، او من شخص ما!
- هذا ليس من شأنك يا سيد سافدج.
قالت ذلك ونظرت الى البعيد. كانت الشمس ساطعة فوق البحر. ولكن حالتها النفسية لم تكن لتسمح لها بالتلذذ بهذا المنظر الأخاذ.
ثم ان حبها لنيكوس وحب نيكوس لفتاة اخرى لا يمكن بحثه مع رجل غريب، يبدو كأنه لم يعرف الحب في حياته. قال ساخراً:
- لا تهتمي يا شهيدة الحب. غرامياتك الصبيانية لا تهمّني. ولكن ماذا عن عائلتك؟ الا يهمها انك وحيدة في البحر الكاريبي حيث يمكنك ان تقعي فريسة سهلة لرجال من نوعيتي؟
- انك ملك من ملوك السكّر يا سيدي! كنت اعتقد ان هؤلاء انتهى أمرهم مع العصور الغابرة. ولم اعرف انهم ما زالوا يعيشون في المنازل الكبيرة والقصور وسط حقول قصب السكر ومزارع الكاكاو ويحكمون كملوك الاقطاع.
ضحك ضحكة هازئة وقال:
- عائلة سافدج من خليج التنين تعيش الآن كجزء من تاريخ هذه الجزيرة. أصولنا تمتد عميقا في الارض مع أصول قصب السكر والكاكاو. أتينا من ايرلندا ثواراً وبقينا لنؤسس سلالة.
قالت مؤنبة:
- هل تملكون العبيد؟
- دخل في خدمتنا العديد من سكان الكاريبي ولكننا لم نجعلهم عبيداً لنا.
بدا متعجرفاً وقاسياً. وأكمل:
- سألتك عن عائلتك... هل يسمحون لطفلة مثلك أن تتجول حيثما

تشاء؟

- اولا اني لست طفلة يا سيد سافدج. والداي توفيا منذ زمن. وقد عرفت عن شقيقك من ناب....

- عرفت انه مقعد وأنا الملام في اعاقته وانا الذي سبّب له ذلك؟

سألته كارا وقد اتسعت عيناها السوداوان:

- وهل لاموك انت؟

- نعم. نعم. كنا لا نفترق أنا وأخي برايد. نركب الخيل كأننا شيطانان. نفعل كل شيء سوية ونتحدّى بعضنا في الجرأة والمهارة. كنا نتفوق على جميع أترابنا... نحن التوأمين سافدج، نفاخر بتراثنا ونعبد تاريخ عائلتنا.

كان لوكان يتكلم وهو يروح ويجيء على الشرفة امامها. بينما تجلس في كرسيها واضعة ذقنها بين كفيها تستمع اليه بكل جوارحها. وأكمل:

- عندما بلغت السابعة عشرة من عمري عرفت ان شقيقي التوأم برايد هو الوريث الوحيد لأملاك العائلة لأنه كان يكبرني بساعة واحدة. أخبرتني بهذه الحقيقة المرّة مربّيتي الزنجية دا. قالت لي وهي حانقة: من المستحسن انك خلقت بعد برايد فهو يصلح أكثر منك لأن يكون سيد خليج التنين ووريثه. لقد صفعتني بالحقيقة كأنها سوط الهب ظهري. كنت أحب شقيقي حباً كبيراً. ولكننا لن نتقاسم كل شيء... حقيقة مؤلمة. كنا عائدين من المدرسة في عطلة، نركض بوحشية كعادتنا. تحدّاني برايد ان نتسلّق الصخور الحادة العالية التي بني المنزل الكبير فوقها وقد قبلت التحدّي. كنا دائماً نقول: سنحاول تسلقها ذات يوم.

سمعت كارا التنهدات العميقة التي أفلتت منه حين وصل في قصته الى هذه النقطة.

وانفطر قلبها حزناً عليه. قالت له:

- يا للسماء. هل من الممكن ان نمحو فترة من الزمن الماضي، كأنها لم تكن؟

وقف لوكان ينظر اليها. كانت على وجهه علامة تشبه الهلال كأنها جرح قديم. وقال:

- كل من يحمل دماً ايرلندياً يحس مسبقاً بوقوع المشاكل. وهذا ما

احسسته عندما بدأت السباق مع برايد. وقد ضحك برايد ونحن نتسلق الصخور وقال: تبدو خائفاً. هل ترغب في البكاء يا اخي الصغير؟ كان دائماً يناديني... اخي الصغير، عندما يرغب في السخرية والهزء مني لفارق الساعة بيننا. كنت ما أزال منزعجاً مما أخبرتني اياه مربيتي دا. قلت له: سأكون الاول في السباق ولو قتل أحدنا. كنت أسابق الريح كأن احداً يلاحقني بسوط في يده. وصلت الى ثلاثة أرباع الطريق وكنت سابقاً له بقليل حين هوى برايد الى أسفل، فوق الصخور...

واستدار لوكان ليواجه كارا. قرأت في عينيه امارات الندم ولكنه اكمل بقسوة ومرارة:

وقع برايد وكسر ظهره.

صرخت كارا:

- اوه! لا. لا.

أحست انه أخبرها قصته المؤلمة لأنه يعرف انهما لن يلتقيا بعد اليوم... كأي مسافر في طائرة او على متن باخرة.

- هل رأيت وعلاً وحشياً يقع في الشبكة؟ هكذا كان شعوري وألمي. قلبك ينفطر على ألم القوي اكثر مما ينفطر على ألم الضعيف.

أجابته كارا وقد تذكّرت شقيقها بول يوم رقد في المستشفى لا حول له ولا قوة قبل ان يستعيد قوته وعافيته في حب دوميني.

- نعم أعرف ما تعني.

وسألته:

- ألم يمت شقيقك برايد؟

- كلا. كانت الأقدار هي الاقوى. لقد تحوّل من رجل كامل قوي الى نصف رجل بلحظة. بقي له نصف جسده. من الخصر الى أسفل شلّ تماماً.

قالت كارا:

- قصتك رهيبة يا سيد سافدج.

- وأنا. هل أنا رهيب ايضاً؟

نظرت اليه. لم تستطع ان تعبر عن رأيها فيه بكلمات بسيطة. كان يتمشى في الشرفة تحت أشعة الشمس، قوياً عصبياً كأنه حيوان في قفص

حديدي. لعله مسجون في قفص اكبر من شقيقه المسجون في مقعده ذي الدواليب المتحركة. انه ولا شك بريء ولكنه في نظر الجميع متّهم. ذنبه انه قبل التحدي لتسلّق الصخور الحادة في سباق مع شقيقه. وأصرّ على ربح السباق ولو أدّى ذلك الى مقتل أحدهما. هل كان يحسد اخاه لأنه سيرث كل شيء؟

قفزت كارا من مكانها وقالت:

- علي ان اتركك يا سيدي. آسفة اشدّ الأسف لما حصل لشقيقك. ولكن أرجوك لا تقس على نفسك باللوم.

وقامت ووجهتها الباب. ولكنه وقف يمنعها وهو يقول:

- لا يمكنك ان ترحلي. يجب ان القاك مرة ثانية. سنتعشى الليلة سوية. سنتعشى خارج الفندق في مكان آخر.

- لا أظنها فكرة صائبة ان نلتقي ثانية.

قالت ذلك ونظرت اليه بعينيها السوداوين. نظرت الى وجهه الاسمر الذي لوّحته الشمس والى عينيه الخضراوين وشعره الاحمر كأنه نار فوق رأسه. توقفت عند ندبة في خده تزيد من شكله الشيطاني المحبّب. وقالت:

- اظن من الأفضل لنا ان لا نلتقي.

- بل علينا ان نلتقي.

قال ذلك وهو يمسك برسغها بشدة وعصبية. شعرت انها لا تستطيع الافلات من قبضته الفولاذية.

- هل تخافين مني يا كارا ام تخافين من نفسك؟

- ما هذه السخافة؟ ارجوك اتركني يا سيد سافدج. لقد استمتعت ببقائي هنا فترة طويلة وقد استمعت الى قصتك المؤلمة وواسيتك بعطفي...

- العطف! وهل تعتقدين انني اهتم لشعورك نحوي بالعطف؟ لقد اخبرتك عن حادث شقيقي برايد لأنني رغبت ان تعرفي اي انسان انا ولأنني لا اريد اسراراً بيننا منذ البداية. سنلتقي مرة ثانية هذا المساء.

- كلا...

حاولت كارا ان تتملص من قبضته بكل قواها دون جدوى.

- هذا المساء يا كارا سنلتقي. لا تهربي لأنك ان فعلت ستندمين الى الأبد.
- ولماذا اهتم؟
قالت ذلك بصوت غاضب شاعرة بخوف كبير وهي قربه. أحست بقوة وتصميم لم تعهدهما سابقاً مع نيكوس. ثم اكملت:
- وهل تظن انني مدينة لك بشيء من اجل الليلة الماضية؟
- ربما نحن مدينون بالليلة الماضية الى قوى خارقة لا نستطيع مخالفتها، الى القدر. هل تخافين الشائعات في فورت فرناند؟ هروبك لن يجعلها تصمت.
- وكذلك بقائي لن يسكتها!
- هل يهمك كلام الناس؟
رفع لوكان راسها بيده ونظر الى عينيها ثم الى شفتيها وأكمل:
- لقد تكلّم الناس عني كثيراً. هل تعرفين كيف حصلت على هذه الندبة في خدّي؟ لقد ضربتني والدتي بالسوط على خدي حين أخبرتها بالحادث الذي وقع لشقيقي برايد. كانت في القاعة وما تزال في ثياب الفروسية. ضربتني بالسوط الذي كان في يدها وهي تقول: ان تنين الخليج يهتم بنا نحن آل سافدج!
ضحك لوكان دون اكتراث ثم افلت كارا وهو يقول:
- اذهبي يا فتاتي الصغيرة. اهربي!
ركضت كارا الى غرفتها فدخلتها واغلقت الباب. شعرت اخيراً بالامان وسط ثيابها المبعثرة والصورة العائلية السعيدة في مكانها على الطاولة بين السريرين. تنفست الصعداء. ستترك الجزيرة اليوم... قبل ان ترتبط بعلاقة مع لوكان. بدأت تستعد للرحيل. وفتحت حقائبها لتعيد ترتيب اشيائها عندما سمعت قرعاً على الباب. فتحته فرأت ناب واقفاً وبيده مظروف مغلق. قال:
- هل ترغبين في دليل سياحي اليوم يا آنسة؟ وأعطاها المظروف.
- كلا. لا اظن ذلك يا ناب.
- على كل حال. سأكون هنا اذا غيّرت رأيك.
وأغلق الباب وراءه. فتحت كارا المظروف وقرأت الرسالة. كانت

كلماتها مكتوبة بقلم أسود ولا مجال للمراجعة. كتب يقول...

دعيني أتعشى معك عشاء وداعياً. وكما يقول الفرنسيون: الوداع هو بعض الموت.

تمنت كارا ان تمزق الرسالة ارباً لتوفر على نفسها لقاء جديداً مع هذا الغريب. انطبع وجهه في عقلها الباطني بشكل أخذ يزعجها... وكوّمت الرسالة بين أصابعها. لماذا تهتم؟ ليذهب هذا الغريب الى الجحيم. ما شأنها بما حصل له حين كانت هي طفلة صغيرة على مقاعد الدراسة تتجول مع نيكوس في تلال جزيرة انديلوس... لديها جراحها الخاصة وهي حضرت الى هنا لتنساها...

جلست كارا على حافة السرير في غرفتها تحدق في أرضية الغرفة. تذكرت نيكوس بعيداً عنها متزوجاً من سيسلي بوجهه الطويل الذي يشع جمالاً وحيوية حين يضحك. حاولت ان تستعيد شكل وجهه من الذاكرة. واذا بعينيه العسليتين تتحولان الى عينين خضراوين قاسيتين. حتى تقاطيع وجهه تغيّرت لتصبح عيني رجل قاسٍ تبرقان تحت شعره الأحمر. انها صورة لوكان.

لوكان سافدج الرجل الذي يتهامس الناس قصصه المخجلة والذي يحمل ندبة فوق خده من تأثير ضربة سوط...

الشمس تغيب بسرعة في المناطق الاستوائية. يهبط الظلام فجأة وتظهر النجوم في السماء كأنها حاشية تحف بالقمر. هذه هي ليلتها الثانية في جزيرة دي لوك.

وصلت العربة الى مدخل مطعم القنديل الملون.

ابتسم السائق بعد ان نقده لوكان أجرته. ضرب الحصان بسوطه ومشت العربة مبتعدة بعد ان نزلت كارا برفقة لوكان.

آخر مرة ركبت فيها عربة يجرّها حصان كانت في أثينا وعضّت كارا على شفتيها لأن لوكان كان برفقتها بدلاً من نيكوس. كان لوكان طويل القامة عريض المنكبين، يلبس طقماً فاتحاً مع قميص وربطة عنق من الحرير البني اللون. أحست باصابعه تحت كوعها وهما يدخلان المطعم. وشعرت بانتصاب قامته ورشاقته. قال:

ـ اعدك بأمسية غير مألوفة.

كانت الغرفة قليلة الانارة وتقدّم منهما رجل صيني وقور يلبس قفطاناً حريرياً واسع الأكمام ويداه بأصابعهما الطويلة مشتبكة بعضها ببعض. كانت على شفتيه ابتسامة زائفة. وانحنى لهما حين اوصلهما الى طاولة منعزلة. قال:

ـ انه لمن دواعي سروري ان اراك مرة ثانية في مطعمي المتواضع يا سيد سافدج.

ـ وهذا يسرّني ايضاً يا سيد ين. احب مطعمك وأنواره الخافتة وطعامك الممتاز. اتمنى ان يكون لديك لحم البط على لائحة الطعام اليوم.

ـ لدينا كل ما تحب أكله.

انحنى ين وصفق بيديه. فحضر الخادم على الفور.

تنفست كارا ببطء بعد ان اختفى الرجل الصيني خلف ستارة من الخرز. وقالت في نفسها... هل حلمت به؟ هل انا في حلم؟ كست ابتسامة صغيرة خجولة وجهها وتعجبت من نفسها... لماذا وافقت على العشاء مع هذا الرجل الشرس القاسي؟ انه يبدو اكثر شراسة تحت الاضواء الشرقية الخافتة.

نظر لوكان الى ثوب كارا البسيط والشرائط الحمراء المعقودة على خصرها. انه ثوب فتاة صغيرة وقد لبسته عن قصد. سألها:

ـ هل ذقت طعاماً صينياً من قبل؟

هزت كارا رأسها نفياً.

ـ اذن ستكسبين خبرة جديدة اليوم. وكان يغمز بعينيه كأنه يقول لها... هذه تجربة جديدة ستشاركه فيها. وأسرع قلبها في ضرباته. ابعدت نظرها عن وجهه بسرعة.

خاطبها الخادم وهو يقدم لها لائحة الطعام:

ـ لائحة الطعام لك يا سيدتي.

فتحتها كارا وتفحصت بعينيها الكتابة الصينية المعقدة. وسألها لوكان.

ـ هل تضعين نفسك بين يدي؟ أحست بالمعنى البعيد لجملته من دفء صوته.

ـ نعم. اختر لي انت عشائي. ولكن ارجوك لا تطلب لي اي شيء غريب.

سخر منها قائلاً:

- هل انت خائفة من هذه التجربة؟ فتاة مثلك قادمة من أرض تكثر فيها الاساطير والحوريات.

- كان هذا في الزمن الغابر يا سيد سافدج. الاساطير أصبحت داجنة والحوريات تعلّمن الحذر.

- يا لخيبة الأمل!

نظر اليها كأن شيطانين خضراوين يسكنان عينيه. ثم نظر الى الخادم وطلب العشاء. كانت كارا متأكدة انه طلب لهما اغرب ما يوجد على لائحة الطعام.

سألها: هل ترغبين في تجربة أكلة كواي تسو؟

- وما طعمها؟

- كواي تسو هما عصوان لأكل الارز يا سيدتي.

وأشار الخادم الى طاولة مجاورة حيث جلس اثنان يأكلان بهما طعامهما الصيني.

- اجلب لنا زوجين منها. وكذلك اجلب لنا شراب الارز فوراً. انه يهدىء الاعصاب.

قالت كارا:

- كم انت فظيع! اعتقد انه يسرك ان تجعل من المرأة اضحوكة.

- انك تبدين فتاة صغيرة ليس الا. كيف يعاملك فارس أحلامك... مثل وردة تنتظر من يقطفها؟ ألهذا تهربين منه لأنه تردّد طويلاً؟

قالت بغضب:

- ليس في نيتي ان اشاركك خصوصياتي.

- لا يمكننا بعد ان نمثل دور الغريبين يا كارا. الليلة الماضية تقاسمنا غرفة نوم واحدة. اتذكرين؟ ماذا سيقول حبيبك اليوناني عن ذلك؟

قال ذلك وعيناه تقدحان شرراً.

- لن يقول شيئاً يا سيد سافدج. نيكوس تزوج امرأة اخرى التقاها في اميركا ولا يمكنني ان انافسها. هي تملك كل شيء: الشعر الاشقر، القوام الرشيق والوجه الجميل.

كانت تتكلم بعصبية ظاهرة. قال لها مازحاً:

ـ اذن، لو كنت تملكين شعراً ذهبياً كنت تلبسين الآن خاتماً من ذهب. منذ متى تعرفين هذا الرجل؟
ـ كل حياتي!
ـ وتعتقدين انه كسر قلبك!
ـ اعتقد انك اكبر رجل ساخر التقيته في حياتي. ولا اعتقد ان لديك قلباً لينكسر!
ـ ها قد احضر الخادم الشراب. انه يسمى شو شنج ويقال انه يدفىء أبرد قلب. بالطبع ليس قلبي.
قال ذلك وهو يضحك حتى ظهرت اسنانه البيضاء في وجهه الاسمر.
وضع الشراب في كوبين صغيرين. وطلب لوكان منها ان تشربه على الطريقة الشرقية ببطء كبير. وبعد ان رشفت منه قليلاً شعرت باحساس لطيف يسري في عروقها وقد هدأ تشنّج أعصابها قليلاً.
كان الطعام مزيجاً من البيض والتوابل المختلفة والأرز. وكانت كارا تحمل الصحن قريباً من ذقنها وتدفع بالعصوين بعض حبّات الارز الى فمها. قال لوكان بجفاف:
ـ الأفضل لك ان تستعملي الملعقة بدلاً من العصوين.
ـ كلا. لقد بدأت اتعلم طريقة استعمالها. الطعام لذيذ جداً.
اكلا لحم البط مع الفطر وبعض الخضراوات الاخرى التي لا تعرف كارا اسماءها. كانت الحلوى ممزوجة بالخل. وجلبوا لهما الماء الساخن فوق منشفة صغيرة ليغسلا ايديهما. وبعد الطعام تناولا الشاي الياباني المعطر.
شعرت كارا براحة بعد الطعام. وتنفست رائحة الياسمين العطرة في الشاي وهي تستمع الى لوكان يخبرها عن منزله في خليج التنين.
قال ان المنزل يقع في منتصف مزرعة قصب السكر وحقول الكاكاو. والطريق اليه يمر عبر صفين من أشجار النخيل. ساحته الأمامية تحتوي على أعمدة قديمة امام المدخل الرئيسي والمنزل حجري يتكون من ثلاثة أجنحة. قالت كارا وهي تبتسم:
ـ ربما هو قصر بابلي.
ـ انه يتحدّى زرقة السماء. انه قلعة اقطاعية. وللمنزل شبح. شبح سيدة تلبس الذهب وتخرج من نافذة ملونة فوق السلالم. ماتت حرقاً في

طاحونة السكر القديمة. قيل انها كانت تجتمع الى عشيقها هناك.
- ذلك مدهش فعلاً!
وحاولت ان لا تنظر اليه. رشفت من فنجان الشاي وقد شعرت بنبضها يسرع وبسحر هذا الرجل وجاذبيته.
- انت تحب بيتك كثيراً.
قال ساخراً:
- وهل يستطيع رجل بدون قلب ان يحب؟
- اعتذر. من الخطأ ان نصدر احكامنا على الناس بسرعة. أرجو ان تسامح تهوّري في الحكم عليك. التسرّع من طباع اليوناني يا سيد سافدج.
- هل انت دائماً متهورة وطائشة؟
قال ذلك واومأ الى الخادم. ظنت ان العشاء انتهى وانه يطلب الفاتورة.
- احياناً أفعل اشياء واندم عليها. هذا طبع آل ستيفانوس. والدي تزوج والدتي بعد ان عرفها بعشرة أيام فقط. هي انكليزية وأنا في غالبيتي يونانية الطبع.
- حين يحضر الخادم لنا الشراب سيجلب معه ورق الحظ ليخبرنا عن المستقبل. الصينيون شعب يؤمن بالفأل وقراءة المستقبل. هل يؤمن اليونانيون بذلك ايضاً؟
- نعم.
ألم تتنبأ لها العرافة السوداء البارحة انها ستقابل رجلاً غريباً شعره أحمر يشبه النار؟ لقد تحققت نبوءتها...
جلب الخادم الصيني ورق الحظ. وخرج السيد ين من خلف الستائر الخرزية هادئاً رزيناً فصبّ لهما الشراب من قنينة صوانية قديمة. قدّم كوباً الى كارا وآخر الى لوكان. شرباها سوية ثم أخذ كل منهما ورقته ووضعها امام السيد ين ليقرأ طالعهما. عملية تسلية بالنسبة لكارا ليس الا. فهي لا تؤمن بهذه الأمور. ومع ذلك شعرت بضربات قلبها تسرع وهي تنظر الى الرجل الشرقي بقفطانه الحريري ذي الأكمام الواسعة. قال لها:
- أرى حفلة تنيرها المشاعل في المنزل الكبير في خليج التنين. اخبريني يا صغيرتي هل تنتظرين ان تحضري حفلة عرس قريبة؟
قالت كارا:

- حفلة عرس؟ لقد اقيمت الحفلة يا سيد ين. لم أحضرها لأنها كانت في مكان بعيد عن مسكني.

وضع ين البطاقة قربه وأضاف:

- هناك بعض القناديل المطفأة. كأن احداً يبكي.

وبسرعة قلب البطاقة على وجهها وبدأ يقرأ حظ لوكان من بطاقته. كان لوكان يتفرج على عملية التبصير وهو يسخر. قال:

- هل هو عرسي ام مأتمي والناس تبكي علي؟

وتمتم لنفسه:

- العمليتان لا تختلفان؟.. حفلة العرس وحفلة المأتم.

قال ين:

- اعتقد يا سيد لوكان انك اخترت بطاقة المقامر من بين ورق الحظ. عليك بانتقاء بطاقة غيرها.

- لا اريد. هذا قدري ولن أجابهه هذه الليلة.

- كما ترغب. اتمنى ان تكون الخدمة والطعام في مطعمي لم يخيّبا ظنكما؟

قا لوكان:

- الطعام ممتاز وكذلك الخدمة.

وقالت كارا:

- الطعام لذيذ وفاخر. سأحمل معي ذكريات مدهشة حين أترك جزيرة دي لوك.

وبعد لحظات غادرت كارا هذا المكان الشاعري. كانت كالمسحورة التي خرجت من هيكل. تمشيا سوية قرب الشلال وسألها لوكان:

- حسناً. والآن ما رأيك في البحر الكاريبي؟

- انه زاهي الألوان، لذيذ وغير اعتيادي.

أعطاها يده وتمشيا على الشاطىء الرملي. كانت ليلة مقمرة واشجار النخيل الباسقة تنحني مع النسيم.

- ومع ذلك سترحلين!

انحنى وأمسك بصدفة كبيرة وقال:

- وهل لقاؤنا بدون ميعاد سيكون من الذكريات التي ستحملينها معك؟

قالت بصدق:

ـ طبعاً. بالتأكيد. كيف سأنسى هذا الصباح... او هذا المساء في مطعم القنديل الملون؟ كيف سأنسى رجلاً يحمل ذكريات طفولة أليمة؟

ـ كلما كانت الندبة اعمق، كلما نما الجلد اكثر خشونة.

كان يسخر. وناولها الصدفة الفارغة طالباً اليها ان تضعها على أذنها وسألها:

ـ ماذا تسمعين؟

ـ اسمع امواج البحر تتكسر على الشاطىء.

تمتم:

ـ انها امواج البحر في خليج التنين.

سألته:

ـ لماذا تنزل في فندق فكتوار اذا كنت تسكن خليج التنين؟

ـ كنت في رحلة خارج الجزيرة. سأعود في الاسبوع المقبل على متن مركب شراعي الى البيت.

كانت عيناه الخضراوان تلاحقانها بشغف. وأكمل:

ـ هل تعتقدين ان هذه الطريقة بدائية للتنقل؟ الرحلة الى خليج التنين تتم دائماً بهذه الطريقة. انها جزء من التراث العائلي. حاجة ماسة تسري في دمنا هي ان نتمسك بالتقاليد وننكر عصر الآلة.

ـ افهم ما تقول. كذلك عندنا في اليونان. انا احب جميع العادات القديمة. مثل الصبي الذي يجرّ خلفه معزاة يجوب بها التلال. مثل موسم الخطبة بعد قطاف الزيتون. مثل السباحة ليلاً وسط العتمة، نجمع بأيدينا ظل النجوم المنعكسة فوق سطح الماء.

ـ البحر الكاريبي في الليل يملك سحراً خارقاً.

وقف لوكان طويلاً قرب كارا يحدق في المياه. أمعنت النظر في وجهه على ضوء القمر. انه شديد البأس، قوي فيه ثورة عارمة وشعره كأنه خوذة فولاذية.

فجأة شعرت بانفرادهما على الشاطىء. لقد ابتعدا كثيراً عن اضواء المدينة قالت:

ـ علينا ان نبدأ مسيرة العودة. الوقت متأخر وفي نيّتي ان أغادر غداً صباحاً.

ـ لا تذهبي. لا تهربي من الجزيرة بسبب كلام الناس.
كان جاداً في قوله.
ـ انه ليس هرباً.
ـ هل تهربين مني؟ ام تنوين عزل نفسك عن العالم حتى لا يصيبك المزيد من الألم؟ هل تظنين انني من الاشخاص الذين يمكن ان يؤلموك؟
ـ نيكوس لم يقصد ان يؤلمني. قلبه هو الذي احب فتاة اخرى. هكذا القلوب تنفتح قليلاً لبعض الناس وكثيراً لغيرهم.
ـ وبما ان قلبك فارغ، فانك تجوبين الكاريبي للتسلية. الغرف الفارغة تدعو العناكب لتسكنها! انت مليئة بالحياة ولن تسمحي للفراغ ان يعشّش في داخلك.
ارتجفت. ويكى قلبها صارخاً... نيكوس لماذا أحببتني قليلاً ثم لفظتني!
ـ اينما تذهبين، ستلاحقك ذكرياتك. انا واثق من ذلك.
نظرت اليه وتساءلت... ما الذي يبغيه مني هذا الغريب؟ هل هي مغامرة عاطفية عابرة؟
وهذا الرجل الذي يحمل ذكريات اشد الماً من ذكرياتها، ذكريات تمتد كالحبال لتخنق الحقيقة. ما هي حقيقته؟ هل هذا الرجل شرير وقاس ام يحمل بين ضلوعه قلباً محطماً مثل جسد أخيه؟
ـ سأعود الاسبوع المقبل الى منزلي في خليج التنين. لماذا لا تبقين اسبوعاً يا كارا؟ دعيني أريك فورت فرناند.
في النسيم العليل الذي يهب على الشاطىء كان كلامه قد بدأ يؤثر فيها وفي تصميمها على ترك الجزيرة.
قالت:
ـ ربما لا اظنني سأجد جزيرة أجمل من هذه. شمسها دافئة ونخيلها يميل مع الريح، والبحر دافىء يصلح للاغتسال.
ـ هل تعرفين ان جميع الجزر معلقة في ايدي أرباب البحر الغاضبين؟
ابتسمت. واخذت تنصت الى الصدفة الفارغة التي اعطاها اياها. كانت الامواج الصاخبة في داخلها غضبى مثل مياه خليج التنين. ووصلا الى غرفتها في الفندق. قالت:

ـ لقد ثبت رقم تسعة على باب غرفتك!
أجابها وهو يضحك ضحكة شيطانية:
ـ لاحظت ذلك ايضاً.
فتحت كارا باب غرفتها ودخلت.
ـ شكراً. انها سهرة لا تنسى!
ـ هل هو الطعام ام قراءة المستقبل ام رفقتي؟ اخبريني يا كارا.
تمنت لو تسأله... لماذا يصرّ على رفقتها؟ أمن أجل التسلية ام هي حاجته لصداقتها؟ لا يمكنها ان تقرأ على وجهه اي امارات واضحة.
ضحك قائلاً:
ـ لماذا تفكرين كثيراً؟
فسألته بمكر:
ـ انت رجل كاللغز. تعامل الجميع كأنهم لعب للتسلية. أي لعبة تتسلى بها معي يا سيد سافدج؟
ـ لعبة دليل السواح يا آنسة ستيفانوس. الا ترغبين في البقاء؟ هل تخافين مني؟
هل تخافين علاقتك برجل بدلاً من علاقتك بفتى؟
ـ اوه. انت شيطان مارد حقاً!
قالت ذلك وقد احمرت وجنتاها.
ـ انني صادق. لست ممن يعدون ويخلفون وعدهم. اذا بقيت في الجزيرة لا استطيع ان أعدك بالسعادة لان ذلك منوط بك وحدك يا كارا. انها فرصة سانحة. اقتنصيها. ولكنني أحذرك بأنك لن تستطيعي التصدّي للقدر.
خيم السكون لحظة. وترك يده تلامس كتفها ثم نزل بها الى معصمها حيث أمسك وحيد القرن في أسورتها. قال:
ـ مخلوق خرافي. مثلك يا كارا.
شعرت بلمسته. وأبعدت معصمها عن أنامله بصعوبة كأنها تحارب قوة مغناطيسية.
ـ الفندق هادىء. الجميع يغطون في نومهم. أتمنّى لك ليلة سعيدة يا سيد سافدج.

ـ ليلة سعيدة يا آنسة سَتيفانوس.
قال ذلك وهو ينحني لها بسخرية بالغة مما يؤكد اصله الفرنسي نعم... فوالدته فرنسية.

٣ - الكرنفال

بعد اسبوع على وجودها في جزيرة دي لوك تركت كارا الفندق ومشت الى الشاطىء. تمنت ان تنسى نفسها وسط ضجيج السوق وزحمة الناس. كانت تمشي دون هدف معين بين البائعات السمينات اللواتي يرتدين قبعات القش الكبيرة قرب تلال الفاكهة والخضار والأسماك المجففة والتوابل والقهوة المكدسة في سلال كبيرة على الرصيف. كان البحارة بأصواتهم الدافئة كالعسل الأسود يفرغون المحار والأسماك الضخمة التي تشبه السلاحف. وقرب تلال من قبعات القش اقنعة كبيرة بدائية معروضة للبيع. لامست كارا ظهر سلحفاة كبيرة على رصيف البحر واصغت الى الأقوال المثيرة حول الكرنفال الذي سيقام غداً في الجزيرة. سيلبس الناس الأقنعة وتقرع الطبول وتقام المآدب حول النيران على الشاطىء.

جميع سكان فورت فرناند سينهمكون في الاحتفال يوماً وليلة.

- هل تحبين جوز الهند؟

رمى احد الباعة جوزة هند الى كارا. امسكتها بيدها بسرعة وطلبت منه ان يفتحها. فالتقط الزنجي سكيناً كبيرة وقطع رأس الجوزة ثم ناولها اياها وهو يضحك. اخذتها كارا وشربت العصير الذي بداخلها. كان طعمه لذيذاً يشبه طعم الحليب البارد.

قالت كارا للبائع وهي تبتسم:

- شكراً.

ووجدت نفسها مجبرة على التفتيش في بضاعته علها تجد بعض ما تشتريه. عثرت على عقد من الخرز مصنوع من البذور الملونة. ثم وقع

نظرها على قناع لوجه شيطاني له شعر طويل، مصنوع من الحرير.
سألها البائع:
- انه شكل وحشي. هل تحبينه؟
- لا.
ونظرت الى قناع آخر يغطي الوجه حتى الفم. تخيلت القناع فوق وجه لوكان. ورأت تحت القناع شفتيه وابتسامته الشيطانية.
سألها البائع:
- هل اعجبك؟
- نعم.
اشترته كارا مع العقد. وتساءلت في نفسها: كيف ستكون ردة فعل لوكان؟ هل سيلبس القناع في الكرنفال؟ انها لا تكاد تعرفه. لقد مر اسبوع تقريباً على لقائها به. وعليها ان تحذره دائماً لأنه خطر كالأسد داخل قفص حديدي.
واكملت تجوالها والعقد الخرزي في جيدها والقناع في حقيبة يدها بينما الناس من حولها يشترون ويساومون ويضحكون وسط رائحة القهوة التي تغلي فوق النار والفاكهة الاستوائية الناضجة في كل مكان.
كان الشعب في هيجان وفوضى وبعض الواجهات تعرض بضائعها على جانبي الشارع. والبائعات الجميلات في تنانيرهن الحمراء المزركشة والبلوزات المكشكشة والأقراط الكبيرة المدورة تحت قماش الراس الملون يوحين بأن المدينة كلها في لهو كبير. وصلت الى ساحة العبيد التي كان يحضر اليها المحاربون وصيادو الادغال الاقوياء والتجار وكبار المزارعين لشراء الفتيات السود قديماً. لهذا سميت ساحة العبيد.
حاولت كارا ان تتصور نفسها عبدة يملكها رجل لا يهتم ابداً بشعورها نحوه. كلما ثارت عليه ضربها بالسوط ليعلمها الطاعة. واذا هربت ارسل كلابه السوداء الكبيرة لتلاحقها في مزارع القصب والأحراج. قطعت تخيلاتها الفظيعة هذه واسرعت صوب الشاطىء حيث القريدس ما يزال في الشباك على مراكب الصيد.
كان المنظر كأنه في اليونان. وتذكرت رسالتها الطويلة الى بول ودوميني. كتبتها البارحة تصف فيها كل شيء رأته في جزيرة دي لوك. ولكنها لم تأت

على ذكر لوكان سافدج. كان لديها شعور اكيد ان بول سيرسل عملاءه يستطلعون اخباره عن كثب. ولن يعجبه بالطبع ما سيعرفه عنه ولا عن خليج التنين.

جلست كارا قرب مركب لصيد القريدس. وكانت يدها تداعب خرز العقد في جيدها بعصبية وهي تفكر. انها تحب اخاها حب العبادة ولم يسبق لها ان اخفت عنه اي شيء في حياتها قبل الآن. صداقتها مع لوكان حدث غابر. وبعد ايام قليلة ستودعه الى الأبد. سيعود هو الى خليج التنين وستكمل هي رحلتها في البحر الكاريبي. لهذا السبب لم ترد ان تذكره لشقيقها. ان استراحتها المؤقتة في جزيرة دي لوك ولقاءها بلوكان سيبقيان ذكرى.

- اوه.

صرخت بصوت مرتفع عندما انفرط العقد وتناثرت خرزاته واختلطت بحبات الرمل على الشاطىء. وانحنت كارا تلتقطها. كانت حزينة كأن عقداً من اللؤلؤ قد انفرط. ان العقد ذكرى رحلتها الى هذه الجزيرة. قيمته تكمن في انه سيعيد الى ذاكرتها الاصوات والضجيج وحركة السوق هذا الصباح...

كانت ما تزال منهمكة بالتقاط حبات العقد حين قفز احدهم الى قربها حيث كانت ما تزال جاثية على ركبتيها فوق الرمال. رجلان كبيرتان في صندل. ونظرت فزعة الى الرجل الطويل في قميصه الصيفي وسرواله الخفيف. شعره احمر يلمع فوق عينيه الخضراوين. قال لها:

- ما زلت صغيرة تفتشين عن الاصداف وسط رمال الشاطىء؟

قالت وقد احمرت وجنتاها:

- انفرط العقد.

وقفزت واقفة فوضعت حبات العقد في جيب سترتها وسألته:

- كيف عرفت مكاني؟

- رأتك احدى البائعات تمرين في ساحة العبيد القديمة. تكهنت انك حضرت الى الشاطىء. لماذا هربت وحدك الى هنا؟

اخيراً خرجت الكلمات من فمها:

- رغبت في الانفراد.

كانت تحدق به وهو يحدق بها والبحر وراءهما ساكن والنخيل ينحني مع النسيم بلطف. قال:
- المرأة الصادقة نوعان. . . نوع لا حنكة له ونوع لا قلب له. ولا اعرف بعد من اي نوع انت؟ امسكي!.
رمى لها بتفاحة نكهتها مزيج من حلاوة وحموضة المشمش وقال:
- هل تعرفين ما يقوله سكان الجزيرة عن هذه التفاحة؟ انها الفاكهة المحرمة التي اغوت بها المرأة الرجل.
قالت وهي تغمز له:
- هل تعكس انت الآية وتحاول غوايتي؟
كان الأحد هو يوم الكرنفال. وبعد الكرنفال سيسافر لوكان الى منزله على مركب وسيأخذ روحها معه. اليوم صباحاً انفردت كارا بنفسها تحاول ان تختبر شعورها ولوكان بعيد عنها. مر اسبوع كامل على معرفتها به. كل يوم تسبح معه، تزور الاماكن برفقته، تتناول طعامها كل مساء واياه في الاندية والمطاعم، يضمها بذراعيه القويتين وهو يراقصها.
ما هذه الجاذبية القوية التي تربطها به؟ انها ليست حباً. فهي تحب نيكوس ولقد احبته كل حياتها ومنذ نعومة اظافرها. كيف يمكنها الآن ان تعجب برجل آخر غيره؟
سألها وهو يقهقه:
- وهل تودين مني ان اغويك؟
- نعم، الى الفطور. انني جائعة. مشت امامه وقالت:
- لنذهب الى الكافيتريا الصغيرة في المرفأ ونتناول فطورنا هناك.
- هل اشتقت الى بلدك اليونان؟
- اشتقت الى دومنيك ابن اخي الصغير. عيد ميلاده الثالث في شهر حزيران (يونيو).
- نحن الآن في ايار/ مارس وقصب السكر اينع واخضر في خليج التنين.
- وانت ايضاً اشتقت الى منزلك.
نظرت كارا اليه ورأت في عينيه الخضراوين حباً كبيراً وهو يتنفس من انفه نفساً كأنه يشم في خياله رائحة الكاكاو. اعترف قائلاً:

ـ اظن ذلك. الحاجة الى السفر عن البيت ليست بحجم الحاجة الى العودة اليه من جديد. كنت في فرنسا في زيارة صديقة.

كان صوته رخياً عندما ذكر كلمة صديقة وتساءلت كارا في نفسها اذا كان يقصد ان يقول في زيارة امرأة. على الأرجح كان في زيارة امرأة لأنه يمثل الرجولة الحقة من رأسه حتى اخمص قدميه. شكله الايرلندي الاسطوري يعود الى عصر عربات الخيل التي تسير فوق الطرقات الوعرة.

قال:

ـ لقد وصلنا.

احست يده تحيط بخصرها وهما امام استراحة المرفأ التي تشبه مثيلاتها في اليونان. طاولاتها باخ لونها من حرارة الشمس وتظللها عريشة عنب.

قالت كارا وقد شبكت يديها فوق الطاولة تنتظر وصول الفطور:

ـ انا جائعة.

قال لوكان وهو ينظر اليها فخوراً مسروراً وضحكة كبيرة تطل من عينيه الخضراوين تحت السماء المشمسة التي تشبه سماء اليونان.

ـ انت طفلة غريبة الاطوار.

ـ ربما اختلف عن الفتيات الرشيقات الارستقراطيات اللواتي اعتدت مجالستهن. اتمنى ان لا اضجرك؟

ـ لو كان الأمر كذلك لما كنت تجلسين معي الآن. انا لا اجوب معك الجزيرة واحدثك بجميع القصص التي حدثت لأنني لطيف ومهذب يا كارا ولأنك غريبة عن الجزيرة. ولا اقوم بتسليتك لتنسي وجع قلبك المحطم او همومك. انا لا تهمني مشاكل قلبك اطلاقاً. انك تثيرينني وتروقين لي. انت لغز من اليونان احاول حله. هل هذا يشفي غليلك بالنسبة للأسباب التي دعتني للاهتمام بك؟

ـ لم اكن لأعتقد انك لطيف ابداً. ثم انني انا نفسي محتارة... لماذا اهتم بك؟ ايضاً أنت لغز بالنسبة لي احاول حل رموزه.

ضحك قائلاً:

ـ اصبت. الآن نحن متعادلان. انني احب روحك. واحب عينيك السوداوين التي تشبهان بركتي ماء. احب خجلك واظافرك المستعدة ان تنشب في خدي.

رفعت يديها عن الطاولة بحركة عفوية. وتمنت لو تنتهي عطلة نهاية الاسبوع. تمنت لو ان لديها الجرأة الكافية لتتركه الآن وتحرم نفسها من وجوده ومن رفقته التي تضنيها وتعذبها.

ـ حضر الطعام.

قال ذلك ومر بيده على الندبة في خده. ودت كارا لو تستطيع ان تبعد يده عن الندبة وتغمرها بقبلة حنان...

بدأت روح الكرنفال تطغى على كل شيء في الجزيرة. وطلبت كارا من ناب ان يذهب معها الى مخزن البسة كي تستأجر ثوباً جميلاً للمناسبة. ارادت ان تفاجيء لوكان به وتبهره. وجدت ضالتها. كان ثوباً مكوناً من تنورة فضفاضة ولباس حريري ملون للرأس مع قرطين كبيرين لأذنيها. ستلبس هذا الثوب في الحفلة المقنعة التي ستقام في اقدم منزل في فورت فرناند. يعرف لوكان اصحاب المنزل الذين سيقيمون الحفلة وقد دعا كارا لمرافقته قائلاً:

ـ انها حفلة مقنعة ويمكنك استئجار الثوب الذي ترغبين ارتداءه.

ـ ولِمَ لا؟.

قالت وقد شعرت بالاثارة مما جعل نبضها يسرع في ضرباته.

ـ ستكون هذه الحفلة من ذكرياتي الجميلة في هذه الجزيرة. ماذا سترتدي انت يا لوكان؟

قال وهو يدخن بنظرة شيطانية:

ـ سأرتدي ثوب قرصان!

ـ لنفاجيء بعضنا.

وفي تمام العاشرة من صباح اليوم التالي كانت فورت فرناند تعيش يوم الكرنفال المرح. شوارعها الضيقة تغص بالمارة... في لباس الكرنفال والبعض الأخر في ثياب بيضاء منشاة او ثياب فولكلورية مزركشة بالألوان. الشمس تشرق فوق الوجوه السمراء بلون القهوة وجدائل الفتيات الصغيرات تتراقص قرب اعينهن الفرحة. والصبية الصغار يحملون البالونات الملونة ذات الاشكال البهيجة.

كانت الأصوات تصل الى شرفات فندق فيكتوار الذي اكتظ بالزوار. والمزارعون الاغنياء مع عائلاتهم يتكلمون اللغة الكاريبية وهم ينتظرون

مرور العربات المزينة في الاستعراض. وفي احدى العربات جلست ملكة الكرنفال وحولها بعض الشباب والشابات بثيابهم الوطنية الفولكلورية التي تحكي تراثهم التاريخي العريق.

لم تنتبه كارا الى نظرات التعجب التي تصوبها اليها الفتيات وهن في طريقهن الى الحفلة المقنعة في المساء. كن يضحكن ويهمسن بكلمات لم تسمعها كارا. وعندما وصل لوكان توقف الهمس من حولها. كان منظر الشارع تحت الشرفة يستحوذ على كل انتباه كارا. واحست يد لوكان تعصر يدها فوق حديد الشرفة. قالت:

- رويدك، يدي. انك تسحقها.

قالت ذلك وهي تنظر في عينيه.

اجابها:

- سامحيني.

وكانت تعابير وجهه قاسية ولكنه افلت اصابعه وقال:

- هل تفهمين اللغة الكاريبية؟

- فقط اذا اصخت السمع جيداً. ولكن لماذا تسأل؟

لاحظت غضبه من لون عينيه واكملت:

- انظر الى هذه الجموع الغفيرة يا لوكان. لم اكن اعرف ان الجزيرة مكتظة بالسكان.

- فيها الكفاية واحياناً ما يفيض عن اللزوم. تعالي نذهب الى الشارع ونتفرج من هناك على الاستعراض الكبير.

- كما تريد.

ولحقت به. احست صمته كما لاحظت تهامس الناس عنهما وعن العلاقة التي تربطهما. ثم قال:

- لقد جعلت منك امرأة شهيرة يا كارا. هل تمانعين؟

- هل يظهر علي اي اهتمام بذلك؟

وجهت اليه ابتسامة خفيفة وقالت:

- اسرع. انني اسمع قرع الطبول وهي تقترب. لقد بدأ الكرنفال.

اهتاج الجمهور حين سمع قرع الطبول. العربات المزينة تمر ببطء. وتنين الكرنفال يسبح في الهواء وقربه مصفر لطاحونة قصب السكر ينبعث

منها الدخان وخلفها عربة اخرى فيها عبيد يلبسون الثياب الملونة ويرقصون حول فتاة سمراء جميلة تجلس فوق تلة من السكر.
صفق الجمهور استحساناً وضحكوا طويلاً. اقتربت عربة زهور مليئة بالفتيات الجميلات مع الوف من الزهور الاستوائية. والمهرجون السود وعلى رؤوسهم الاقنعة يحملون شباكاً لجمع المال من الناس للأعمال الخيرية المختلفة. حاصروا كارا بشباكهم. واخرج لوكان من جيبه حِفنة من الفضة رماها في الشباك. قال احدهم:
- لقد اشتريت هذه الفتاة.
وللفور حملها لوكان على كتفه وسار بها. شعرت كارا باحساس لذيذ هز قلبها هزاً وذوب عظامها. قالت:
- ارجوك يا لوكان. انزلني الى الأرض. الجميع ينظرون الي.
انزلها من على كتفه وهو يضحك وقال مخاطباً كارا:
- احسني التصرف يا عبدتي حتى اشتري لك الاناناس.
كان بائع متجول يبيع الأناناس في سلة مع فاكهة اخرى. اشترى لوكان واحدة كبيرة وقطعها اربعة اقسام واعطاها لها. لم تذق كارا في حياتها فاكهة الذ من تلك. كان سرورها عظيماً وسط الجموع وهي تتفرج على الاستعراض. وبقيت تتفرج حتى النهاية.
تابع الاستعراض مسيرته وكانت جموع الناس تتبعه في الشوارع الضيقة. الشرفات مليئة ايضاً بالمتفرجين. والحلوى والزهور تنزل فوق رؤوس المارة من الشرفات. ولقد اصاب بعضها شعر كارا وصدر لوكان ورأسه الأحمر.
امسك لوكان بكارا وسحبها الى مدخل احد المنازل. بدأت كارا تسحب الحلوى بيديها الوسختين من شعرها وقالت:
- هذا جنون. ولكنني لا ارغب في خسارة ولا دقيقة واحدة من الكرنفال.
قال لوكان بسرور عندما رآها تضحك من قلبها:
- دعيني اساعدك.
وبدأ ينظف شعرها مما علق به من حلوى وشرائط ورقية.
قالت:

ـ اشكرك.

ثم تذكرت كيف رمت له ملكة الكرنفال وردة حمراء وكيف امسك بها متحدياً. لقد ابتسمت له الفتاة ابتسامة عريضة من تحت تاجها الملكي. كانت حنطية اللون مشربة بالسمرة. عيناها بركتان من عسل وفمها بلون زهرة العنب. هل يعرف الفتاة من قبل ام انها اختارته من بين الجموع الغفيرة لقامته الفارعة؟

سألته ضاحكة:

ـ اين الوردة التي رمتها لك ملكة الكرنفال؟

قال ساخراً:

ـ علقتها في جديلة فتاة صغيرة. هل تغارين؟

ـ لا. عندما كنت صغيرة كنت اغار. اليوم لا اغار الا من دوميني زوجة اخي. شعوري بالغيرة منها كان لفترة قصيرة جداً. لقد استطاعت بقلبها الكبير الذي يشبه جمال وجهها ان تكسب محبتي.

قال لوكان:

ـ دوميني اسم نادر وجميل.

قالت كارا بلطف:

ـ هي ايضاً شخصية نادرة ومحببة. حين تحب شخصاً حباً كبيراً يصعب ان تقرر اي فتاة تصلح لتكون زوجة له. قاتل شقيقي بول دفاعاً عن اليونان وجرح جرحاً بليغاً. كانت جراحه مميتة. ومنذ خمس سنوات احبته دوميني وتحدت القدر ان يحرمها من حبيبها.

ثم اكملت كارا حديثها لنفسها وهي تضحك... بول شقيقي الغالي. لقد هربت من انديلوس لأن كرامتي جرحت. تعرفت الى رجل آخر ربما لا تحبه من اول نظرة. ما شعرت به نحو نيكوس لم يكن ابداً في مثل حرارة شعوري نحو لوكان. هل هذا هو الحب الحقيقي؟ انني واثقة ان فراقي عنه غداً او بعد غد سيكون صعباً جداً ولن احمله...

قاطع لوكان تأملاتها قائلاً:

ـ لنذهب نسبح قليلاً. نستطيع ان نشتري ثياب السباحة من المخزن قرب المرفأ ونشتري ايضاً طعاماً للنزهة وهكذا نوفر على انفسنا مشقة العودة الى الفندق وسط الزحام.

قالت باليونانية لانها كانت تفكر بها منذ قليل:
- لا بأس.
فسألها:
- لم افهم ما قلت يا سيدتي الصغيرة؟
ضحكت:
- قلت نعم ولكن باليونانية.

كان جميع سكان الجزيرة يلهون في الكرنفال ولذلك كان الشاطىء لهما وحدهما. البحر كأنه فيروز ذائب. وانتقيا بقعة ظليلة تحت صخرة كبيرة. فرشا بساطاً صغيراً وضعا عليه الطعام وكانت كارا متلهفة للغوص في الماء. ركضت خلف الصخرة وخلعت عنها ملابسها ثم ارتدت لباس البحر وركضت الى احضان المياه. قالت:
- انت بطيء.

وفي اقل من لحظة كان لوكان يسابقها الى المياه. صرخت حين احست قبضته الدافئة تمسك بها من خصرها وترفعها كأنها طفلة صغيرة.
- انت قاطع طريق!

وحاولت ان تفلت من يديه وهي معلقة في الهواء ولكنها لم تستطع الافلات. ضحك ثم رماها في المياه الدافئة الخضراء بلون عينيه. كان يغرقها قليلاً ثم يتركها تطفو كي تتنفس. ثم بدأ يسبح حولها في دائرة وهو يبرز لها اسنانه كأنه سمكة قرش صغيرة. كان يضحك ساخراً وهو يداعبها.
وقالت:
- انت حقير بل خسيس.

وسبحت بعيداً عنه وعن الاعيبه. كان شعورها وهي معه غريباً عليها. لقد سكن قلبها ولكن رفقته في البحر وخارجه مخاطرة كبيرة ومغامرة لا تنتهي.

خرجت كارا قبله من الماء. ونفضت شعرها من المياه العالقة به كما يفعل الجرو الصغير.

تنهدت ومدت ذراعيها للشمس. انها يونانية تعبد الطبيعة بكل وحشيتها. خرج لوكان من البحر. وكان منظره وهو يقطر ماء كأنه قرصان

يقطر اللؤلؤ من اطرافه.
- ما الذ السباحة!
وتمدد على الأرض وفتح فمه كأنه يبتلع الشمس.
- كارا. انك تسبحين كالفتيان.
- هكذا قيل لي سابقاً.
لقد سمعت هذه الجملة اكثر من مرة. ونظرت الى سلة الطعام. دجاجة محمرة وقطع من البندورة. فاكهة لذيذة وبعض الحلوى والشراب.
جلس لوكان قربها. وما هي الا دقائق قليلة حتى شعرت بأصابعه تداعب شعرها المبلل.
سألت كارا:
- ما هذا الترتيب السيء؟ كيف نشرب بدون اكواب؟
- نشرب رأساً من الزجاجة مثل القراصنة.
لامست اصابعه حنجرتها وعنقها بلطف ولين فتجمدت. تمتم:
- هل تخافين من لمسة اي رجل ام فقط من لمستي انا؟
- لقد رميتني في البحر وسابقتني دون رحمة او شفقة كأنك سمكة قرش. انني حذرة جداً من نواياك يا سيد سافدج.
اخرجت كارا صحون الورق والبندورة من سلة الطعام وتمنت ان لا تبدو كمن لا حول له ولا قوة، كما تشعر حقاً عندما يداعبها بعينيه الخضراوين. لماذا لا يكف عن استطلاع احوالها مع الرجال الآخرين؟ لم تعرف غير نيكوس وهو لم يقبلها سوى قبلات بريئة لم تكن لتحرك فيها ساكناً. الآن تعرف الفرق بين المحبة البريئة والحب القوي الجارف.
- دعيني اهدىء روعك ببعض الموسيقى.
فتح لوكان الراديو الصغير الذي اشتراه مع ثياب السباحة وقبعة القش وسلة الطعام. واكلا الدجاجة المحمرة بنهم ثم شربا من الزجاجة.
- الطعام لذيذ والفاكهة كذلك. الموسيقى المالئة اصبحت ايقاعية وصاخبة كأنها تخرج من الأدغال.
وسألته:
- هل تسبح دائماً في خليج التنين؟
- اكثر الأحيان في الصباح الباكر او في المساء تحت ضوء النجوم.

كان يتمدد تحت اشعة الشمس الاستوائية في استرخاء كلي.

ـ هناك سمك كثير في الخليج والموج يرتفع عالياً والصخور تشبه اسنان التنين. في داخل مياه الخليج تيار مائي يمسك بنا كأنه ذيل وحش مفترس.

قالت كارا ويداها على ركبتيها:

ـ الا يصلح المكان كمتتجع لقضاء العطل؟

كانت قبعة القش على رأسها تغطي عينيها وتستر اهتمامها بمنزل لوكان الذي يبعد رحلة يوم بالنهر... في الجهة المقابلة لجزيرة دي لوك. هناك حيث الشواطىء غير مأهولة...

ـ ان الأقوياء وحدهم يصلحون للعيش في خليج التنين.

ـ لماذا سمي هكذا؟

ـ شعارنا تنين احمر منقوش فوق درع برونزي. انه شعار عائلتنا. يقول: تنين آل سافدج يحمينا. وتوجد كأس ذهبية كبيرة في مدخل القاعة نقش عليها تنين قرمزي. جلبها ثوار آل سافدج وكانا شقيقين من ايرلندا. مثل اي ايرلندي كانا يحملان قلبين مليئين بالكبرياء وحب الشيطنة ولم يقبلا الانضمام الى الرابطة الانكليزية. ولهذا السبب لاحقهما الجنود بغية اعتقالهما وسجنهما. فما كان منهما الا ان هربا على متن سفينة كانت في طريقها الى البحر الكاريبي. تحطمت السفينة بعد ارتطامها بالصخور في شمالي جزيرة دي لوك. وتمكن الشقيقان من النجاة سباحة الى الشاطىء وبرفقتهما فـ... مها مايف وعشرات الشبان الكاريبيين الذين حملهم قبطان السفينة معه بقصد بيعهم عبيداً. كونال وديارميد.

وجدا تربة الخليج صالحة للزراعة. فرهنا الكأس الذهبية مقابل قطعة ارض صغيرة. وعمل الشبان الكاريبيون في خدمتهم فزرعوا قصب السكر والكاكاو. ثم تزوج كونال من مايف وبنيا منزلاً كبيراً فوق الصخور العالية واعطوا الخليج اسم التنين دلالة على آل سافدج.

سألته كارا:

ـ ألم يتزوج ديارميد؟

ـ تزوج الزراعة وترك امر تأسيس العائلة الى شقيقه كونال. توفيت مايف وهي حامل بولدها الرابع. وقعت من فوق الصخور الحادة فوق الخليج. وكذلك توفيت عروس جديدة حرقاً في طاحونة قصب السكر

القديمة. من الظاهر ان التنين يحمل ضغينة ضد عرائس آل سافدج.

ارتجفت كارا بعد سماع قصص عائلة آل سافدج مع انها كانت تجلس تحت حرارة الشمس. لقد الهب لوكان مخيلتها بجو خليج التنين الغريب حيث الامواج الصاخبة تتكسر على الصخور الحادة... من الصخب بحيث انها حالت دون سماع استغاثة مايف بعد سقوطها من فوق الصخور. كما حدث لبرايد ايضاً.

- اوه. انظر يا لوكان.

كان هناك سرطان يزحف قربها. وضحكا من شكله الغريب. التقت نظراته بنظراتها. فمد يده وامسك يديها وجذبها الى صدره الحار. حاولت دفعه بعيداً عنها الا انها لم تستطع حراكاً امام جبروته. قالت:

- ارجوك. لا تفعل اي شيء.

سألها ساخراً:

- وماذا عساي ان افعل؟

قالت:

- ستقضي على صداقتنا.

- يا مجنونة. هل هي الصداقة التي تربطنا؟

طواها بذراعيه ودارت الدنيا بها بعد ان اصبح الرمل تحتها. عانقها بشدة فشلّ تفكيرها تماماً.

كانت مرتمية على الرمال وعيناها مغمضتان بعد عناقه القاسي.

- بحق الشيطان. هل آلمتك كثيراً؟

مسح بابهامه دمعة انحدرت فوق خدها.

- ألم يعانقك صديقك اليوناني ابداً؟

- كلا. ليس بهذه الوحشية. نيكوس ليس خشناً.

- نيكوس فتى غرير ولم يصبح بعد رجلاً. لماذا تبكين يا حياتي؟

- انت لا تستطيع ان ترى امرأة تبكي لأنك قاسي القلب.

سخر منها وقال:

- يا للسخافة.

- ربما دموعي تلامس شعورك واحساسك. وانت لا ترضى بذلك.

ـ اذن انا مرعب وهائل!

فتحت عينيها المبللتين بالدموع وهي ما زالت مستلقية على الرمال الدافئة كأنها بين يدي قرصان بدائي شعره المجعد الخشن بلون النار، عيناه الخضراوان فيهما سحر خطير، وجسمه الملوح بحرارة الشمس لا رقة فيه ولا ليونة.

ـ انت رجل معقد. لا اظنني احبك يا لوكان.

ـ وهل طلبت منك ان تحبيني يا كارا هل شعرت انني بحاجة الى صداقتك؟ امسك بها وانهضها. وبدأ يمسح اكتافها من الرمال العالقة بها.

سألها فجأة.

ـ بماذا تفكرين الآن؟

ـ ما الذي تريده مني؟

ـ رفع ذقنها باصابعه وتفحص وجهها بعينيه. قال:

ـ ماذا تعني لك التقاليد يا كارا؟

استغربت سؤاله:

ـ التقاليد!

ـ تقاليد آل سافدج لا تعني لي شخصياً الشيء الكثير. ولكن شقيقي برايد يعيرها اهمية كبيرة وانا يهمني امر شقيقي كثيراً.

ـ استطيع ان افهم حبك لشقيقك!

ـ ولكنك لا تفهمين ما اقصد. انني احيرك اليس كذلك؟

ـ كثيراً.

تراجعت كارا عنه وبدأت توضب سلة الطعام. طوت البساط بعد ان نفضته من الرمل واقفل هو الراديو. مشت كارا خلف الصخور لتغيير ملابسها ولما عادت كان لوكان قد لبس سرواله وقميصه. وبدأت الشمس تميل الى الغروب. فمشيا نحو المرفأ في طريق عودتها.

وصلا الى الفندق وآلاف المشاعل تغمر الشارع بالنور. الجموع المرحة تحوم حول طاولات الطعام الشهية والأشرطة الورقية والحلوى تحت الأقدام. صوت قرع طبول بعيدة. كانت الحفلة المقنعة الراقصة هذا المساء تشكل قمة الاحتفال. وستعود فورت فرناند هذه الليلة الى احتفالاتها

النزبرية السابقة. الهرج والمرج وقرع الطبول. . . كل فرد يعيش لساعته ويلهث خلف ملذاتـه، يعيش للحب فقط. شعاره: نحب الليلة ونتحاسب غداً.

وقفت كارا امام مرآتها في غرفتها بالفندق تمعن النظر في انعكاس صورتها الجديدة. فتاة صغيرة ترتدي الثياب الوطنية وفي اذنيها اقراط كبيرة. كانت متوترة الاعصاب ترتجف كلما مرت بأناملها فوق شفتيها تتذكر عناقها مع لوكان. قالت في نفسها. . . كارا ستيفانوس تبدين جميلة للغاية في لباسك. بول ودوميني سيفخران بك لو شاهداك.

واخذت نفساً عميقاً. تساءلت في نفسها. . . ما هي ردة الفعل عند لوكان بعد عناقهما على الشاطىء في عصر هذا اليوم؟ كان يتكلم بغرابة عن منزله وتقاليد عائلة آل سافدج. ذكرى عناقه لا تفارقها. كيف كانت تحت رحمته بين ذراعيه السمراوين تسمع نبض قلبه يغزو قلبها. . .

بدأت ترفل في ثوبها الحريري الفضفاض. واستدارت عن المرآة. اهتزت يدها وهي تحمل القناع القرمزي الذي اشترته البارحة الى لوكان. بالنسبة اليه، العناق قد لا يعني له شيئاً سوى لحظة سرور عابرة او ربما رغبة في التعرف الى ردة الفعل لديها. عليها ان تتذكر هذه الحقائق الليلة. . . الموسيقى الهادئة والأقنعة وضوء القمر يمكن ان تطيح برأس اي فتاة.

كانت تسوي قناعها فوق وجهها حين سمعت قرعاً على الباب. لا بد انه لوكان. فكرت ان تعتذر له بأن لديها صداعاً ولا يمكنها مرافقته. وحين فتحت له الباب نسيت الكلمات التي اعدتها ولم يسعها الا التحديق فيه من فتحة القناع فوق عينيها. وقف قرب الباب بلامبالاة وهو يلبس ثوب مهرج بألوانه المتنافرة. قدمت له القناع دون ان تتكلم. وقبل ان يضع قناعه على وجهه ابدى اعجابه بلباسها الفولكلوري متفحصاً اياها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها حيث كانت تنتعل حذاء للرقص ظهر من تحت تنورتها الفضفاضة. قال:

ـ انك رائعة يا صغيرتي.

واضاف بضحكة شيطانية:

ـ انك السيدة الكاريبية بكل مجدها.

ـ اشكرك.

ورآته يضع قناعه القرمزي فتراجعت قليلاً الى الوراء لأن الرجل قبالتها تحول الى شيطان في غمضة عين.
سألها:
ـ كيف ترين شكلي؟ هل انفع؟
قالت وهي تضحك ضحكة بريئة:
ـ ستخيف كل فتيات الحفلة.
سألها مقهقهاً:
ـ المهم ان لا اخيفك انت. هل تخافين مني يا كارا؟
فاعترفت له:
ـ احياناً. لا عجب ان ترتدي الواناً متنافرة حتى لا يعرفك الناس.
سألها بجدية:
ـ ما الذي تقصدين يا صغيرة؟
ـ كل الفتيات اللواتي عرفتهن في حياتك لا يعنين لك اي شيء. انهن كالزبد الذي يتحطم فوق صخور خليج التنين. عندما تتكلم عن منزلك احس حباً وحشياً يتملكك ولا يمكن لأي امرأة ان تنافسه. انا ارثي لحال المرأة التي ستأخذها هناك لتصبح زوجة لك.
ـ هيا بنا الى الحفلة.
فاستدارت في ثوبها الحريري ونزلت السلالم معه. وصلا مدخل الفندق وكانت مجموعة من المقنعين تخرج من المصعد. كان الجميع في طريقهم الى الحفلة المقنعة. وحيا بعض الرجال لوكان تحية عرضية وحدقوا في كارا وانحنوا لها ببرود.
لا يهمها ما كان يفكر به هؤلاء. ربما وصلت الى سمعهم انباء الليلة التي امضتها في غرفة نوم لوكان والتي لن يصدق احد انها كانت ليلة بريئة. اي فتاة تشارك لوكان غرفة نومه لا بد ان تكون لعوباً. سألتها احدى النساء وكأنها تعرفها:
ـ هل انت ذاهبة الى الحفلة يا آنسة ستيفانوس؟
كانت ترتدي ثوباً يعود الى القرن الثامن عشر وتبدو عليها اناقة بنات باريس كأنها ضيفة احد المزارعين الاغنياء وليست من سكان الجزيرة.
هزت كارا رأسها ايجاباً. لم يكن يهمها ان تتصرف بلباقة مع من ينظر الى

لوكان على انه عابث ماجن.

ـ اريد محادثتك بعد قليل. لدي ما اريد التحدث به معك.

وسارت مبتعدة. سألها لوكان وهو يفتح لها باب العربة التي طلبها لها ناب لتقلهما الى الحفلة:

ـ هل تعرفينها؟

فهزت رأسها بالنفي. ونسيت الحادثة في طريقها الى المنزل الكبير حيث ستقام الحفلة.

كانت ساحة كبيرة في الحديقة تحيط بها الاعمدة قد تحولت الى قاعة للرقص. وبدت الموسيقى قديمة العهد رومانسية يتمايل عليها الراقصون والراقصات وسط الأعمدة في بحر من ضوء القناديل.

اسرع نبض قلبها وهي تراقص لوكان خلف عامود ضخم. واستدارت فابتسمت له. كان مثل الكثيرين يلبس لباس المهرج ولكنه يختلف عنهم جميعاً بقامته الفارعة وقناعه القرمزي. كانت بين ذراعيه اللتين اطبقتا عليها بشدة وقد اغلقت عينيها وتركت الموسيقى تنساب حتى تدخل كيانها. افلتت بالذاكرة الى زمن آخر ومكان اخر. كأنها بين ذراعي نيكوس في انديلوس. ولكن لا. لا يمكن تشبيه رقصها مع نيكوس بهذا الشعور الحالم بين ذراعي لوكان والسعادة العارمة التي تغمرها. تغيرت الموسيقى الى الفالس وهما يدوران بخفة. وشعرت بجسده القوي يعصرها عصراً وتكاد تذوب لتصبح قسماً منه. ما هذا الشعور السحري؟ لا يمكن ان يكون حباً، لا بد انه سحر اسود. هذه المرة سيتحطم قلبها حقاً ولن يجرح كالمرة السابقة يوم تركها نيكوس وتزوج.

توقفت الموسيقى ومعها السحر. وامسك لوكان بها من يدها وجرها الى حيث طاولة الطعام. اكلا السمك والقريدس مع الصلصة وشربا عصير التفاح. كان لوكان منشرحاً وكانت كارا تلاحظ النساء وهن يلاحقنه بنظرات الاعجاب.

وبدت ملكة الكرنفال آية للناظرين في لباسها الوطني الجميل. واخبرها لوكان ان الملكة سترسل احد خدمها بعد قليل لتختار الرجل الذي يروقها لمراقصتها فالس الامبراطورة. وهذا التدبير جزء من الاحتفال يجري كل سنة. سألته كارا:

- هل اقرأ لك طالعك هذا المساء؟
- لا. لا اريد. تعالي نرقص. قال ذلك وامسك بها ودخلا وسط الجموع الراقصة. لاحظت كارا المرأة الفرنسية التي كلمتها في الفندق ترقص قربها. وكانت ترمق كارا بعينين مؤنبتين كأنها تقول لها: انا لا اوافقك على تصرفاتك. اشبه بصديقة من طفولتها كانت دائماً تسبب لها القصاص في ايام الدراسة.
قال لوكان:
- من هذه المرأة؟ تبدو كأنها تعرفك يا كارا.
- انا لا اعرفها. الناس يهمسون عني وعنك. وهي مهتمة بهذا الأمر.
- للأسف. ان جزيرة دي لوك مكان صغير تنمو فيه الشائعات بسهولة وتكبر اكثر من حجمها الطبيعي. هل تمانعين يا كارا ان تكوني آخر فتيات لوكان سافلدج؟
- وهل هن كثيرات يا لوكان؟
اعاد السؤال:
- ماذا تعتقدين؟
- انت لا يهمك رأيي كثيراً.
- لننس الموضوع.
قال ذلك وقبض على اصابعها بشدة شعرت معها بوجع في عظامها.
كانت الحفلة تزداد صخباً. البالونات الملونة ذات الاشكال المتنوعة تطفو مع الاشرطة الورقية التي تلف الجميع برباط وهمي. واعلن ان ملكة الكرنفال ستختار مرافقها للفالس الامبراطوري. وهمست الملكة في اذن خادمها اسم مرافقها. هز الغلام رأسه ايجاباً وذهب وسط الجموع. شاهدت كارا الخادم يمشي نحوها حيث يقف بقربها اطول مهرج في الحفلة.
انحنى لوكان من مكانه للملكة ثم نظر الى كارا وقال:
- هل تأذنين لي؟
وتمتم:
- لن يقبلوا عذري ان انا رفضت مراقصة اجمل فتاة في جزيرة دي لوك!
- انا واثقة مما تقول. ارجوك، تمتع بوقتك كما يحلو لك.

ـ سأفعل.

كانت الملكة سعيدة جداً بمراقصته. وسرت همهمة بين الجميع عندما ضم لوكان الملكة بين ذراعيه ودار بها كأنه ملك فعلي. رقصا وحدهما في الحلبة دورة كاملة قبل ان يدخل عليهما بقية الراقصين والراقصات. واصبحت ساحة الرقص بعد قليل كالبحر المتحرك يتموج بالألوان... العيون وحدها تلمع من تحت الاقنعة.

تراجعت كارا الى الوراء قليلاً ثم جمعت ثوبها بيديها وركضت بين الأعمدة الى الحديقة. كانت تحاول ان تقنع نفسها بأن مراقصة لوكان لفتاة اخرى، فتاة جميلة جداً... لا يعنيها في شيء. واخذت تتمشى وسط الاشجار بقلب يثقله الحزن.

شعرت كارا بأن شخصاً يتبعها. والتفتت بسرعة فاذا بها وجهاً لوجه امام المرأة التي ترتدي ثوباً من القرن الثامن عشر. قالت المرأة:

ـ لو عاملني رجل كما عاملك لوكان فلا اكلمه مرة ثانية. كانت تنظر الى كارا على ضوء القمر.

ـ لحقت بك لأكلمك قليلاً.

سألتها كارا:

ـ اكره ان يتبعني احد او ان يتجسس علي. من انت؟.

ـ صديقة لبول ودوميني ستيفانوس.

قالت كارا متعجبة وغضبى:

ـ كم العالم صغيرا

فرفعت المرأة قناعها عن وجهها وقالت:

ـ منذ اخبروني باسمك وبأنك يونانية عرفت انك الشقيقة الصغرى لبول. لقد التقيته في باريس مع زوجته الجميلة دوميني السنة الماضية. التقينا في متحف اللوفر وكنت بصحبة صديق يعرف شقيقك معرفة جيدة. تعشينا نحن الأربعة في مطعم ماكسيم وامضينا سهرة ممتعة معاً. وتكلم بول بحنان عن انديلوس وتاريخها القديم...

اقتربت المرأة من كارا ورفعت اصبعها الى خدها وفيه خاتم من الماس يرسل بريقاً اخاذاً. كان الخاتم للزينة وليس خاتم زواج.

ـ كم هو رجل عظيم، شقيقك.

وضحكت كأنها حية رقطاء تبث السم فيما حولها.

- انني فخورة بمعرفتك. سأكتب الى دوميني اخبرها عن هذا اللقاء بيننا.

حدثت كارا نفسها. . . ستجلب لي هذه المرأة المشاكل. انها لئيمة ولم تعرف حباً حقيقياً في حياتها كالحب الذي يربط بين دوميني وبول.

قالت المرأة:

- يا عزيزتي كارا. انت لست بالجميلة التي تجذب اليها لوكان سافدج، ولا من النوع الذي يقيم علاقات غرامية مع امثاله.

وضحكت ضحكة عابثة:

- لذلك لم تتحملي رؤيته يراقص فتاة خلابة مثل الملكة. . . فهربت الى الحديقة في العتمة.

- انا ولوكان صديقان ليس الا.

تكلمت كارا باليونانية وبلهجة فيها عزة وكرامة.

- واذا كتبت الى اخي بما يسيء الى سمعتي او سمعة لوكان سافدج. . .

ولم تكمل حديثها.

قالت المرأة بلهجة ساخرة:

- وما هي السمعة الحسنة التي يتمتع بها لوكان سافدج؟ كل سكان الجزيرة يعرفون ان شقيقه مقعد بسببه. لو مات برايد لأصبح لوكان سيد خليج التنين ومالكه.

- لم يكن لوكان مسؤولاً عن الحادث. هو نفسه اخبرني القصة بكاملها. ان شقيقه برايد هو الذي اقترح ان يتسلقا الصخور. . .

- هو الذي اخبرك؟ وهل تصدقين كل ما يقوله لك؟ ان دا مربية التوأمين منذ ولادتهما ومدبرة المنزل سمعت لوكان يتحدى برايد للتسلق. وهي التي اخبرت والدتهما بذلك بعد الحادث. كان برايد ضعيفاً محطم الضلوع بعد الحادث ولم ينف او يؤكد قصة شقيقه لوكان. وحين استعاد قواه لم يعد يفكر من الذي طلب التحدي. ومن المناسب للوكان ان يبدو شهيداً امام الفتيات القاصرات اللواتي لا يرين خلف عينيه الخضراوين الحيوان المفترس الذي يقبع تحت جلده.

- تتكلمين عن لوكان سافدج كأنك تكرهينه. ما الذي فعله لك؟

- لا شيء.

كانت ضحكة المرأة رنانة وقحة.

- اعرفه من شهرته وامقت بشدة هذا النوع من الرجال. المرأة عنده لعبة جميلة فارغة العقل وانت الوحيدة التي خرجت عن القاعدة.

- لوكان صديق فقط...

- لا بد انها صداقة حميمة جداً يا عزيزتي.

قالت ذلك ولملمت ثوبها وعادت من حيث اتت تاركة كارا وحدها بين اشجار الحديقة. هذه المرأة تحسدها. انها ليست صديقة لبول ودوميني. انها ترغب في ايذاء المحبين. ستكتب الى شقيقها ودوميني لا لشيء الا لتؤذيها ولن تملك كارا اي لقاح ضد سمومها. فالشخص الذي امضت ليلتها في غرفته هو لوكان سافدج ذو السمعة السيئة...

انسابت الموسيقى الى سمعها تذكرها بالحفلة المقنعة وبالملكة التي تراقص لوكان. مشت دون هدف وقد سقط قناعها المنقط من يدها دون ان تدري. وصلت الى هيكل صيفي صغير تظلله النجوم وله حديقة مليئة بالزهور وفيها مقاعد صغيرة حول بركة ماء. كانت الليلة مقمرة. وجلست على مقعد تفكر. ماذا تنتظر؟

سمعت وقع اقدام من ورائها فنهضت واقفة. كان رجل طويل يقف في مدخل الهيكل وقد منع عنها ضوء القمر.

- هذا انت يا كارا؟

- نعم يا لوكان.

- ما الأمر؟ وجدت قناعك على الطريق. هل انتهت الحفلة المقنعة بالنسبة لك؟

- نعم. نعم يا لوكان. انتهى كل شيء. سأرحل عن الجزيرة.

- تبدين غريبة الأطوار كأن شيئاً مزعجاً حدث لك. هل هي رقصة الملكة؟ بالتأكيد يمكنك ان تتحملي بعض المرح البريء؟

- حتماً. ولكنني تعبت جداً. كان اليوم طويلاً ومليئاً بالضجيج. ارغب في العودة الى الفندق وسأذهب وحدي...

- اولاً. اخبريني ما الذي حصل؟

وامسك برسغها:

- حين كنت في طريقي اليك مررت بالسيدة التي كلمتك في الفندق.

كانت على وجهها امارات التشفي كأنها صفعت احداً صفعة موجعة.
اخبريني يا كارا. هل قالت لك المرأة اي شيء عكر صفوك؟
- هذا من شأني وحدي...
حاولت الافلات منه ولكنه اطبق على يديها وجعلها اسيرته فحدقت به كأنه وحش مقنع.
- ستخبرينني ما حصل ولو بقيت معك الليل بطوله. ليلتنا سوية في حديقة الهيكل ستعطي الاشاعات فرصة جديدة لتلوكنا.
- انت لا تجرؤ على ذلك يا لوكان!
قال بجدية:
- انك تتحدينني؟
عرفت كارا انه يعني ما يقول. قالت:
- هذه المرأة تعرف اخي بول. ستكتب له لتخبره عن علاقتي الغرامية مع لوكان سافدج الشهير من خليج التنين.
وخيّم عليهما صمت ثقيل ثم قال:
- من الواضح انك طفلة صغيرة.
ثم توعد بلهجة آمرة:
- دعيهم يقولوا عن زوجتي اي شيء وسيدفعون الثمن غالياً جداً.
تسمرت كارا في مكانها. لقد صدمت. وتملكها الألم لأنه لم يذكر سابقاً اي شيء عن الزواج حين اقنعها بالبقاء معه اسبوعاً اخر بحجة وجوده كدليل سياحي لها.
- تهاني. لو علمت لاشتريت للعروس هدية لائقة.
قال جاداً:
- وهل تشتري العروس هدية عرسها بنفسها؟
حدقت كارا به وضربات قلبها تسرع. شعرت بضعف مفاجىء وسألته:
- لوكان. ما الذي تقوله؟ انا لا افهمك!
- انني اتقدم منك خاطباً. اريدك ان تصبحي زوجتي.
- لا. لا يمكنك ان تطلب يدي للزواج لأن هذه المرأة البغيضة تهددني. انت ترغب في انقاذ سمعتي. افضل الموت...

- شكراً. لا ينتظر اي رجل يتقدم بطلب يد فتاة للزواج هذه الاجابة السخيفة. هل تظنين يا كارا انني لا املك الجاذبية؟
- بل على العكس. انت رجل تستطيع ان تحظى بأية امرأة ترغب. الكثيرات يتمنين ذلك. اما انا فأفضل ان اتزوج من رجل يحبني.
- هل تريدينني ان اقول... اني احبك!
- لا. ولكنني اتساءل.... لماذا يرغب رجل مثلك لا يقيم وزناً للروابط التقليدية في الزواج وروابطه المقيدة فجأة؟ لماذا سألتني ان اصبح زوجة لك؟
- لأنني بحاجة الى زوجة بكل بساطة. احتاج فتاة لديها الشجاعة كي تأتي لتعيش معي في خليج التنين. تتحمل اصوات الامواج التي تتكسر فوق الصخور على الشاطىء كل ليلة والرائحة القوية التي تخرج من حقول الكاكاو في النهار. الا يكفي هذا يا كلرا؟
- لماذا؟ ما الذي اعطيك بالمقابل؟
- نفسك.
وضع يديه حول وجهها وقال:
- شقيقي لا يستطيع ان يعطي وريثاً لآل سافدج. لأجيال خلت عاشت العائلة في خليج التنين وما زالت. انني الأخير في العائلة وعملية مواصلة حلقات العائلة للمستقبل تقع على كاهلي وحدي.
- اذن هي زيجة تقليدية حقيقية. ليس عليك ان تحبني بل ان تقوم بعملية انجاب الاطفال. لماذا تطلب مني ذلك؟
- انا اسالك. يمكنك القبول او الرفض. انت حرة. الأمر بهذه البساطة والقرار النهائي لا رجعة فيه. اما ان تقبليني أو ترفضيني.
خلع عنه القناع. وأصبح وجهه واضحاً تحت ضوء القمر.
نظرت اليه كارا. وفكرت بشقيقها بول. كان الصمت رهيباً واللحظة حرجة. عليها ان تقرر مصيرها الآن. وهو قرار ملزم لبقية عمرها: للاحسن او للأسوأ.
- الا يقول اليونانيون ان التفكير يولد الجبن؟
وما ان انتهى لوكان من جملته حتى بدأت الألعاب النارية تسطع في السماء. خرجت كارا من الهيكل تضرج ومشى خلفها ممسكاً بها من كتفيها

حتى لا تهرب. كأنه يمسك بعواطفها ويشدها اليه بحزم لم تعرفه من قبل ولم تحلم به. عاطفته نحوها تختلف كلياً عما خبرته من شعور مع نيكوس... كان هذا مرحاً كضحكة الطفولة. اما لوكان فهو كالمرشد وهي كالعصفور التائه تطير من حوله.

شد على كتفيها بيديه وقال:

- سأغادر الى خليج التنين خلال ايام. لدينا وقت كاف لنتزوج واذا رغبت نتزوج في الكنيسة.

- نعم. اريد زواجاً في الكنيسة اذا كان ذلك ممكناً يا لوكان.

صباح الاثنين اخذها لوكان الى محل صغير لبيع الاثريات يزدحم بساعات قديمة ورائحة عطور غريبة وتماثيل منوعة الاشكال. واشترى لها خاتماً من الذهب وخاتم خطوبة في وسطه لؤلؤة كبيرة نقية. البسها خاتم الخطوبة وقد اعجبته ردة فعلها.

- لم اكن لأتمنى اي شيء اجمل منه يا لوكان.

ولم يخطر ببالها ان اللؤلؤة البيضاء في وسط الخاتم تشبه دمعة تتساقط من يدها.

خرجا من دكان بائع المجوهرات واسرعا في الاتجاه المعاكس. هو ليحصل على شهادة زواج وهي لترسل برقية لشقيقها وزوجته تعلمهما بعزمها على الزواج. كانت ترهب ردة الفعل عند بول. انه رب العائلة في اليونان. وكما تقتضي العادات عليه ان يجتمع بالرجل الذي ترغب الزواج منه ويعطي موافقته.

كانت تعرف انه يود ان يقدمها بنفسه لعريسها يوم الزفاف. كان يتمنى ان يقدمها الى نيكوس... وعندما يستلم برقيتها سيظن ان تسرعها في الزواج ردة فعل مباشرة على زواج نيكوس.

كانت حزينة بعد خروجها من مركز البريد والبرق. هل هي تتزوج لوكان فعلاً كردة فعل على زواج نيكوس؟ هل فكرت ملياً بالحياة التي ستعيشها في المنزل الكبير المنعزل في خليج التنين حيث شقيق لوكان المقعد في الكرسي المتحرك هو سيد المنزل؟

القت نظرة على يدها اليسرى حيث خاتم الخطوبة. واكتشفت كيف كانت اللؤلؤة تأخذ شكل دمعة كبيرة على وشك السقوط.

كانت قد خرجت للبحث بين المتاجر عن ثوب لحفلة الزفاف.
وجدته اخيراً واشترت معه قبعة محلاة بورود مخملية بيضاء وفي وسطها خرزات بسيطة. واشترت قفازات بيضاء ايضاً ثم اعطت اسمها وعنوان الفندق الى البائعة كي ترسل اليها مشترياتها الى هناك. قالت لها البائعة:
- انه ثوب عروس. هل ستتزوج الآنسة؟
هزت كارا رأسها ايجاباً. وسألتها البائعة:
- هل اعرف العريس؟ انا متأكدة انني رأيتك مع السيد سافدج...
- نعم. هو العريس. سنتزوج الاربعاء بعد غد.
قالت ذلك وخرجت. ركضت البائعة الى داخل المحل لتخبر صديقاتها بالأنباء الجديدة.
قال لها لوكان حين التقاها في مطعم المرفأ للغداء:
- سيحضر عرسنا اشخاص عديدون ومهمون. وسيجعل منك لوكان سافدج امرأة مبجلة يا حبيبتي.
يا حبيبتي... قالت في نفسها، لو قالها بدون هذه النظرة الساخرة!
- الكنيسة مكان بارد بدون الناس. سيسعدني ان اراهم في عرسنا حتى لو كان حضورهم نوعاً من الفضول.
كم تبدين صغيرة لتكوني عروساً يا كارا. لو كنت في بلدك اليونان لكنت تزوجت بفستان حريري لائق وطرحة كبيرة من الشرائط والدانتيلا وسط لفيف من افراد العائلة.
- كان شقيقي بول سيقدمني في الكنيسة الى زوج المستقبل.
- آسف لعدم وجود الشرائط وافراد العائلة وصغارها حولك.
- انني آسفة فقط لغياب بول ودوميني في هذه المناسبة السعيدة. وماذا عن عائلتك يا لوكان؟ الن تصيبهم المفاجأة حين تعود اليهم قريباً ومعك عروسك؟
- لا اظن ذلك. برايد ينتظر زواجي بفارغ صبر وشقيقتي كلير لا تهتم الا بمنحوتاتها. اما رو فسيخيب ظنها لأنها لم تحضر الزفاف. كم تحب هذه الفتاة الحياة المرحة ولا يوجد في منزلها مرح كثير.
وضعت كارا فنجان قهوتها ونظرت الى زوج المستقبل باستغراب:
- كان يمكنك ان تخبرني قبل الآن ان لك شقيقة تعمل في النحت. ومن

تكون زو؟

ـ رو طفلة صغيرة في الثامنة من عمرها. تعيش معنا في المنزل. وجدناها على باب المنزل طفلة رضيعة. تركتها والدتها بصندوقها الصغير تحت رحمتنا. وتبناها شقيقي برايد. لو كانت صبياً. . . !

توقف لوكان عن الكلام وهو عابس. وطلب من الخادم ان يعطيه الفاتورة. دفع ما عليه ثم خرجا سوية يتمشيان ووجهتهما الكنيسة في اعلى التلة. مشت كارا قربه صامتة. كانت ضربات قلبها غير منتظمة وتذكرت قوله. . . لو ان الفتاة رو التي تبناها اخي كانت صبياً. . . قالت في نفسها. . لم يكن لوكان بحاجة للزواج من فتاة لا يعرفها حق المعرفة وربما لا يحبها.

وتوقفت عن السير. كانت تلعب بخاتم الخطوبة في اصبعها. قالت بحنق:

ـ لا استطيع ان اكمل الزواج يا لوكان. عليك ان تجد فتاة غيري لتتزوج بها. . . .

صرخ بها فجأة:

ـ ابقي هذا الخاتم في مكانه. وامسك بيدها فأعاد الخاتم بقوة الى مكانه. كان وجهه قاسياً وعيناه بلون البحر الهائج.

ـ لقد وعدتني بالزواج بحق الشيطان وسوف تفين بوعدك!

احتفظ بيدها في يده حتى وصلا الى الكنيسة. وبعد نصف ساعة خرجا بعد ان اتفقا على جميع ترتيبات زواجها من لوكان يوم الاربعاء صباحاً.

في طريق العودة كانت كارا تراقب الفراشات تمتص رحيق الازهار بأجنحتها الخافقة. كانت ترغب ان تطير مثلها حرة من جديد.

قال يداعبها:

ـ عندما نمشي مرة ثانية في هذا الدرب، سنكون زوجاً وزوجة.

قالت ترد دعابته:

ـ اعتقد ان ثمن الزوجة كان يساوي اربع بقرات في زمن نيال القرصان.

ضحك ثم قال:

ـ اهكذا تقيمين نفسك يا فتاتي، كغنيمة لقرصان ايرلندي؟ ستنسجمين

في العيش مع رو. انها تفتخر بحقيقة ان آل سافدج يعودون بأصولهم الى المحاربين في اولستر. وتعتز بأن سلالم المنزل الكبير مصنوعة من خشب سفينة قرصان اسبانية تحطمت على الصخور في خليج التنين.

قالت كارا:

- رو اسم قاس لفتاة صغيرة.

- لا شك ان امها كانت قاسية جداً حين تركتها. اننا نسميها رو بمعنى النبتة المقدسة وهي فتاة رشيقة مرحة.

- كم اتلهف للقائها يا لوكان.

- وجود طفلة صغيرة في المنزل سيساعدك.

شد على اصابعها كأنه يذكرها بمهمتها الأولى لزواجه منها... انجاب الوريث للعائلة العريقة.

اسرع نبضها وهي تقول في نفسها... بعد فترة وجيزة من الزمن سيصبح هذا الرجل الطويل، الجذاب، المتوحش زوجها وحبيبها!

استفاقت كارا صباح الاربعاء على زقزقة العصافير. اليوم ستصبح زوجة لوكان سافدج. مرت الساعات القليلة من الصباح سريعة وتناولت فطورها وحدها. عليها ان لا تلتقي لوكان قبل الذهاب الى الكنيسة. بدأت ترتدي ثوبها في التاسعة وكانت قد غسلت شعرها في اليوم السابق. ونزعت الاقراط الذهبية من اذنيها فاستبدلتها بالاقراط اللؤلؤية التي اشتراها لها لوكان. قال حين قدم لها علبة الأقراط:

- لقد ارتفع ثمن العروس في هذه الأيام.

كان شكلها بثوب الزفاف ذي القبة العالية كراهبة صغيرة على وشك ان تقسم اليمين. وابتسمت راضية عن شكلها في المرآة. قفزت حين قرع الباب. وفتحته. كان ناب يحمل لها باقة الورود البيضاء والصفراء التي طلبتها منه لتحملها معها عند الزفاف. وقف يحدق بها كأنه لم ير عروساً من قبل وقال:

- وصلت هذه البرقية لك يا آنسة.

- انتظر يا ناب. ارجوك.

قرأت البرقية. كانت من بول. يمنع عليها الزواج من رجل لا يعرفه ويأمرها بالعودة فوراً الى انديلوس.

لم يرسل لها حبه ولا تهانيه. وبدأت تبكي ثم مسحت دموعها بسرعة لأن ذلك يجلب سؤ الحظ. ذهبت الى حقيبتها واخرجت ورقة وكتبت:

- عزيزي بول. حين تستلم رسالتي اكون قد اصبحت زوجة لوكان سافدج. ارجو ان تسامحني وتتفهم الموضوع. اطيب المحبة... كارا.

طوت الرسالة واعطتها لناب مع بعض المال. وطلبت منه ان يرسلها في الحال. سقطت دمعة على الرسالة ولكنها هدأت نفسها وامسكت باقة الورد فأغرقت وجهها فيها. كانت الورود البيضاء ترمز للطهارة والبراءة والورود الصفراء للدفء والمحبة.

قبل العاشرة بربع ساعة حضر نا ب ليحمل لها حقائبها الى سيارة الأجرة التي ستقلها الى الكنيسة. وكانت قد دفعت فاتورة الفندق في اليوم السابق. نزلت السلالم بين شرفات الفندق المليئة بالمتفرجين والفضوليين. قالت لصبي الفندق:

- تعال معي الى الكنيسة يا ناب.

فصعد قربها على الفور. كان من الغريب ان يصحب العروس خادم الفندق في طريقها الى الزفاف.

كان ناب يثرثر معها بلغته الفرنسية الغريبة وهما في طريقهما الى الكنيسة. وشعرت كارا كأنها مخدرة. بقيت على هذه الحال من الجمود فترة الاحتفال كله. كأنها في حلم وهي تقف بجانب لوكان.

كانت الزهور تملأ المكان وعلى جانبي المذبح باقات كبيرة من الزهور الاستوائية. لقد رتب لوكان امر وجودها بنفسه. ونظرت اليه شاكرة. كان منتصباً بقامته الفارعة وربطة عنقه معقودة فوق قميصه الابيض بينما يضع في عروته زهرة صفراء. تخلى عنها قلبها حين التقت عيناها بعينيه وفيهما ظل ابتسامة دافئة. هذه الابتسامة جعلتها تشعر بأنها ليست وحيدة بل معه الى الأبد.

٤- نهر بلا عودة

سافر لوكان وعروسه كارا الى منزلهما في خليج التنين فوق طوافة خشبية تنساب على النهر عبر طرق وحشية ولكن خلابة. العصافير الملونة كأنها جواهر حيّة تطير حولهما في الغابة الخضراء حيث النباتات الخضراء المتدلية كأنها حيات. وأزهار الادغال الوحشية الكبيرة تنمو بكثافة وبين فترة واخرى يمرّان تحت شلال صغير يصب الماء فوق الطوافة المصنوعة من اخشاب الموز والقصب.

كان البحار الكاريبي الذي يقود الطوافة يقف منتصباً في نهايتها الضيقة كأنه محارب. وجهه ذو عظام عالية وعيناه تلمعان تحت شعره الأشعث الاسود. كان لينّ الجسم اسمر كالنحاس يشبه تمثالاً منحوتاً. اما مجاذيف الطوافة فكانت مرصعة بالأصداف وقطع الزجاج الملونة، تلمع كلما التقت اشعة الشمس في حركتها صعوداً ونزولاً.

قال لوكان مخاطباً كارا وهو ينظر الى النوتي:

- كانوا من أكلة لحوم البشر.

وابتسم قليلاً بعد ان لاحظ ارتجافها وخوفها. ورمى رماد سيكاره في الماء.

- يعاملون الحب ببساطة. حين تعجب أحدهم فتاة يدعوها الى الغابة حيث يتزوجها عنوة على طريقة المحاربين القدامى. بعد ذلك تصبح له فيتزوج بها على الطريقة المتبعة.

بدأ النوتي ينشد أغنية قديمة تناسب البيئة الوحشية التي تمر بها الطوافة وتهتز لها كارا مع كل ضربة من المجذاف المزخرف.

ـ انه ينشد اغنية بمناسبة زفافنا.

جلس لوكان متكاسلاً في مقعده المنخفض وقد مدد رجليه الطويلتين وقميصه الحريري يلتصق بعضلات صدره وكتفيه. وبدت حنجرته القوية من فتحة قميصه بعد ان نزع ربطة عنقه ومياه النهر تنعكس في عينيه الخضراوين. ثم سألها:

ـ هل ما زلت تشعرين بأنك غريبة يا سيدة سافدج؟

هزت كارا رأسها ايجاباً وقالت:

ـ حين غيّرت اسمي اصبح اسوأ من السابق.

سألها وقد ضاقت عيناه:

ـ وهل تنتظرين الحياة معي ان تكون اسوأ؟ انني لست فتى غريراً يا كارا لأركع تحت قدميك وأعدك بالجنة. ولكن حياتك معي على الارض لن تكون مملّة، وانا أعدك بذلك. انني أعمل وأكّد وأريد زوجة تنتظرني حين أعود من عملي في حقول القصب مع غروب الشمس. فكرت... اي زوجة لا فرق لديك. وتحولت بنظرها الى العصافير البيضاء المتجمعة حول نساء يقمن بغسل الثياب على ضفة النهر حيث المياه تندفع بقوة. كن يستعن بالصخور المكورة لنشر الغسيل تحت اشعة الشمس. وسألته:

ـ متى نصل الى خليج التنين؟

ـ غداً قبل الظهر.

رمى عقب السيكارة في الماء وأضاف:

ـ لن نكمل سفرنا في ظلام الليل كما اعتدت ان افعل. لأن النهر يشتد هياجه كلما اقترب من البحر. سنخيّم في الغابة قبل الغروب.

تسابقت ضربات قلبها... اذن ستمضي ليلة الزفاف بين الاشجار الكبيرة ذات الاوراق الخضراء والتي يمكن ان تخفي خلفها محاربين، أخطاراً مجهولة...

ـ كم اتلهف لرؤية البيت الكبير. هل أبرقت الى أهلك يا لوكان؟ هل يعلمون انك ستحضر معك عروسك؟

قال متكاسلاً:

ـ لا، فكرت ان افاجئهم.

لم توافقه الرأي فهي لا ترغب في الوصول دون انتظار. ربما تكون

مفاجأة غير سارة.

- كان من اللياقة ان تخبرهم بقدومي. ربما لن يروق شقيقتك التغيير في تدبير المنزل في آخر لحظة...

- كلير؟ ضحك قائلاً: انها لا تهتم بتدبير شؤون المنزل. ذلك متروك الى دا مربيتي منذ كنت رضيعاً. كلير خارجة عن المألوف. انها تعيش لفنها.

- فهمت الآن. أتعجب ما الذي سيقوله اهلك عني؟

قالت ذلك ومدت أصابعها تعبث في الماء قربها.

حدق في وجهها الرقيق وشعرها المبتل فوق رقبتها وخدّيها. التقت نظراته بنظراتها. فابتسمت وشعرت بحمرة الخجل تصعد الى وجهها. قال:

- لديك سحر يوناني وحشي. ستستعملينه لقتل التنين.

تمتمت:

- التنين؟

- التنين هو شقيقي برايد، أتذكرين؟ انه مقعد لا يستطيع ان يركب الحصان أو يسبق الشيطان الذي يلحق بآل سافدج.

- اشعر بالخوف يا لوكان. قلت لي ان الاقوياء والقساة وخدهم يستطيعون العيش في خليج التنين. هل سأكون انا قوية بما فيه الكفاية؟

- حتماً. كان من الشجاعة والجرأة ان تقدمي على الزواج بي يا كارا. على فكرة، هل استلمت جواب برقيتك التي ارسلتها لشقيقك؟

هزت كارا رأسها ايجاباً وشعرت بقلبها يهبط من مكانه.

- اخبريني. ماذا قال؟

- اوه. كالعادة...

وحاولت ان تتهرب من الاجابة.

قال باصرار:

- أريد الكلمات بحذافيرها يا كارا.

- حسناً. لقد منعني من الزواج من رجل لا يعرفه وأمرني ان اعود فوراً الى انديلوس.

ران صمت ثقيل دخلت معه الطوافة في عتمة مفاجئة. كان نفقاً ضيقاً من الاشجار الكثيفة ثم خرجا ثانية الى النور. وأغمضت كارا عينيها تلقائياً تفادياً للنور بعد الظلام.

- كان بول سيبعث هذه البرقية كائنا من كان الشخص الذي ساتزوج.
- لكنه كان سيوافق على نيكوس المحترم.

ضحك لوكان وأمسك بيدها يتفحص خاتم زواجها الذهبي والخاتم الذي تشبه لؤلؤته دمعة متساقطة.

- ربما ظن انك تزوجت بي كردة فعل على زواج نيكوس. هل فعلت ذلك؟

ترك يدها وبدأ يمشي فوق الطوافة ذهاباً واياباً. ووقف قرب البحار الكاريبي فبدأ يتكلم معه بلغته.

لوكان زوجها الآن ومع ذلك فهو غريب عنها. انه يثير فيها شعوراً غريباً يمتزج بالخوف. هذا المزيج خدّرها وافقدها حواسها. ربما هو الشيطان وقد احتل قلبها...

بدأت الطوافة تقترب من الضفة الشمالية. وصرخ البحار شيئاً فأسرع لوكان وأمسك بالمجاذيف بقوة وشرع يجذف. قفز البحار الى الشاطىء واختفى بين اوراق الاشجار.

سألت كارا:

- هل من مشكلة؟
- لا. لا.

قال ذلك وتوقف عن التجذيف وبقيت الطوافة ساكنة في مكانها.

- لقد نصب فخاً في الطريق. واذا حالفنا الحظ سنحتفل بوليمة بمناسبة الزفاف.

صرخت تتألم للضحية البريئة وقالت:

- هل هو عشاؤنا؟

فتشدق لوكان قائلاً:

- انه وليمة زفافنا!

وعاد البحار ومعه شاة برية صغيرة. ربت لوكان على كتفه مهنئاً. وعاودت الطوافة سيرها بينما البحار المتوحش وزوجها ينشدان اغنية بدائية مثل الغابة التي تلفهم...

مالت الشمس للمغيب. وبدا البحار الكاريبي كأنه هيكل برونزي.

كانت الطوافة تتجه الى خليج رملي.

ـ هذا هو الخليج الفرنسي في قديم الزمان كان مركب قرصان شهير يختبىء في هذا الخليج. وهرب قبطان المركب مع احدى جدّاتي. كان القبطان رجلا جذاباً ومثيراً... ولما انقذت البحرية الفرنسية جدتي وعادت بها وهي تثرثر مسرورة.

كانت نظرات لوكان عابثة وهو ينظر الى كارا. وقفز الى الشاطىء ليربط الطوافة بصخرة قوية وقد شد الحبل المتين حولها...

بدأوا بتوضيب المخيم. ولفظت الشمس آخر شعاع لها فوق النهر كأنه لسان من اللهب الأحمر. تلته أشعة بنفسجية ثم عمّ السواد. وفي مكان ما غرد عصفور صغير أغنيته المسائية.

فرشت كارا البساط المهلهل قرب نار المخيم التي اشعلها لوكان بتؤدة. وكان البحار جوليوس يذبح الشاة ويسلخها ليعلّقها فوق النار للشواء. ووضع بعد ذلك، قليلاً من البطاطا الاستوائية لتشوى على جوانب النار.

ـ انه مكان مثالي للمخيم. يوجد هنا مخزن طبيعي للثمار. تعالي أريك.

تبعت لوكان الى داخل الغابة وعلى الفور احست بانفرادها معه. قفز قلبها من مكانه. وأوقد المشعل الذي حمله معه الى جذع شجرة كبيرة. وعلى ضوء المشعل رأت كارا الفاكهة تتجمع بكثافة تحت الاوراق.

ناولها لوكان المشعل وبدأ يقطف الثمار المعلقة فوق قامته الفارعة. وأخذت كارا قبعتها القشية فجعلتها سلة وملأتها بالفاكهة الاستوائية اللذيذة. وعادا الى المخيم يحيط بهما كورال من الضفادع والجنادب ترتل بأصواتها الرتيبة.

كل شيء هنا جديد ومثير. انه عالم غريب من الصوت والظل. كانت تشارك لوكان فيه بكل حواسها وهو قريب منها يساعدها في طريقها ويخلصها من الأغصان التي تعلق بها. وكلما لامسها بأصابعه كانت ترتجف وتسرع ضربات قلبها. ستنام الليلة بين ذراعيه تحت اشعة النجوم في هذا المكان الوحشي. وسيتم تقاليد آل سافدج. شعوره بالواجب تجاه هذه التقاليد هو الذي أجبره على الزواج...

ـ بماذا تفكرين؟

كانت ستخبره وسط العتمة. كانت ستسأله ان يتركها وشأنها اذا لم يكن

يريد حبها.

- احب ان امتع نفسي بحمام في النهر. الماء يغريني.

- صحيح. المياه منعشة وباردة.

- هل تسمح لي بالنزول يا لوكان؟

- طبعاً. انت عروس مطيعة.

ضحك ومرّ بابهامه فوق خدها.

- كنت اتساءل اذا كانت آمنة للاغتسال فيها.

- اكثر أمناً من الزواج من آل سافدج. العشاء لم يجهز بعد وأظن انني سأشاركك السباحة.

لبست كلارا ثوب السباحة خلف الاشجار على الضفة. وانتعشت احاسيسها كلها بفعل البرودة والظلام حين دخلت الماء. كم مرة سبحت مع نيكوس ليلاً في انديلوس... كانت حرة تمرح ولم تفكر بالمستقبل مرة...

ما أغرب مفاجآت الحياة. تكاد لا تصدق الحقيقة التي تعيشها. وقرصت نفسها لتتحقق من أنها ليست في حلم. النهر. النجوم. الغابة. كلها حقيقة. حقيقة اخرى قربها... هذا الرجل الذي يسبح معها في ماء النهر البارد وقد لفّها بذراعيه القويتين. حاولت التملص منه.

- ما هذه العروس العصبية! تركها تهرب ثم عاود السباحة حولها. هذه المرة لم تقاتله بل تركت نفسها ترتاح بين ذراعيه. كانت ضعيفة وخفيفة وهو يحملها الى الضفة الثانية ويضعها فوق الرمال. احست يديه فوق كتفيها ثم ضغط بوجهه فوق وجهها يعانقها وقال: دعينا ننسَ الغد وخليج التنين. لننسَ كل شيء. لنتظاهر بأنني تزوجتك لنفسي.

★ ★ ★

- دعنا نكن صادقين مع أنفسنا يا لوكان.

قالت كلماتها هذه من قلب جرحته شدة صراحته معها.

- تزوجتك لأن كرامتي أهينت يوم تركني نيكوس ليتزوج من امرأة

اخرى. وانت تزوجتني من اجل التقاليد وبرايد. نحن متعادلان.
عم الصمت المكان. سوى صوت الجنادب الرتيب وصوت ضربات قلبها في أذنيها. تركها لوكان ممددة ووقف شامخاً فوقها. وجهه قاسٍ ويداه الى جانبه. وفجأة قفز الى النهر وسبح في اتجاه المخيم.
تركها ممددة فوق الرمال قبل ان يقدم لها حبه. لم تطالبه بكلمات غزل فحقيقة زواجها المؤلمة منعتها كأنها سجن. ومشت الى النهر وهي تقول في نفسها: افرحي وهللي يا كارا فاليوم يوم زفافك. اذهبي وشاركي عريسك حياته. شاركيه طعامه وشرابه ومنزله، ولكن ليس قلبه...
استوى الشواء وكذلك البطاطا اللذيذة الطعم مع رائحة الاعشاب والتوابل النفاذة التي تثير الشهية. أكلت كارا وهي تمسك اللحم بأصابعها. أحبت كل شيء.
ونظرت الى زوجها بعد العشاء. كان يستمتع بالاغنية التي كان جوليوس ينشدها.
كانت قديمة تعود الى أصوله التي تاهت في البحر الكاريبي.
لقد جعلها القدر تدخل غرفة لوكان في فندق فكتوار وغداً ستدخل معه عتبة البيت الكبير. سيحملها بين ذراعيه كرفيقة لقدره الغريب وليس كزوجته الحبيبة.
أحست كارا بحيوان يزحف قربها. كان قريباً جداً من النار ويشبه التنين. كانت تراقبه بهلع. قال لوكان:
- لا تكوني عصبية يا كارا. ان التنين الصغير لا يؤذي.
سأل جوليوس:
- هل نشويه للفطور؟
فهز لوكان رأسه نفياً وقال:
- دع الحيوان وشأنه. انه يذكّرني بالتنين البرونزي في منزلنا فوق المدفأة.
مشى التنين بأمان الى داخل الغابة. وأحست كارا انه انذار يهدّدها. انه تنين آل سافدج الذي يكره عرائس العائلة. ارتجفت للفكرة. ولاحظ لوكان ارتجافها فصبّ لها فنجاناً ساخناً من القهوة. شكرته وأمسكت الفنجان بكلتا يديها وهي تتلذذ بطعم القهوة.
- انتظري حتى تذوقي الشوكولا الساخنة في خليج التنين. نحن نضيف

اليها القرفة والكريمة حسب وصفة عريقة في القدم. انني احبها منذ كنت صغيراً.

اكفهر وجهه وهو يتذكر صباه. وتذكرت كارا والدته التي كانت تفضل برايد عليه. انه الصغير الذي اتعبها وآلمها عند الوضع. كان عريض المنكبين، كثير الحركة وعصبي المزاج. ولم يذكر لوكان والدته أمامها سوى مرتين. في المرة الاولى قال انها فرنسية الأصل. وفي المرة الثانية ذكر ضربة سوطها فوق خده يوم الحادث المشؤوم.

قشر لوكان ثمرة افوكادو وقطعها ثم حمل قطعة منها فوق سكينه وناولها اياها. اخذتها منة بفرح وتمنت ان تمضي كل أيامها ولياليها معه هكذا. ان تنسى العالم بأسره.

جلس جوليوس يدخن سيكاراً بعد العشاء. ولما انتهى حمل بساطه ونهض:

- مساء الخير يا سيدي لوكان. مساء الخير يا سيدتي.

وسار الى الطوافة لينام فيها تاركاً اياهما قرب النار.

قالت كارا وهي سارحة بأفكارها:

- انه عشاء فاخر.

- لم نشرب بعد نخب زفافنا!

وبعد ان شربا نخب زواجهما مشى لوكان نحوها. مددها فوق البساط ولفّه حول رجليها بحنان ووضع سترته الملفوفة تحت رأسها على شكل وسادة. كانت السترة مشبعة برائحة دخانه وبعطر الزهرة الصفراء التي ما تزال في عروة سترته.

- نامي. سنبحر باكراً الى خليج التنين.

اعترضت:

- لوكان...

- نامي واحلمي بصديقك الفتى الذي لم يجرحك بعناقه ولكنه جرح قلبك.

- اوه. لوكان...

- عزيزتي. لن يبقى الخصام في فراشنا الى الأبد. أعدك بذلك. انك متعبة كثيراً. غداً يوم جديد آخر وتنتظرك احداث جديدة... هل انت

دافئة؟

اجابته:

ـ كالقطة الصغيرة.

ـ اتمنى لك احلاماً سعيدة.

انحنى وعانقها بلطف. ولما غفت كانت الزهرة الصفراء في عروة سترته قد تهشمت...

٥- خليج التنين- البيت الكبير

كان الفطور سمكاً اصطاده جوليوس من النهر. وبدأوا النصف الآخر من الرحلة مع بزوغ الفجر الجميل ترافقهم بعض الغيوم.

الاخضرار في الغابات الخضراء الكثيفة يلفهم والطيور تحلق اسراباً فوقهم. والنهر ينساب كشريط حريري ناعم يأخذهم الى خليج التنين. . .

ـ كل شيء هنا يختلف عن بلاد اليونان. هناك الارض قاحلة والتربة لا تعطي الا نادراً. اما هنا فكل شيء أخضر خصب.

التقت عينا كارا عيني لوكان الخضراوين كأوراق الشجر. وتذكرت ساعة استيقظت صباحاً في المخيم. كيف وجدته نائماً، نصفه تحت البساط والنصف الأخر مكشوف. كان يغط في نومه تكسو وجهه براءة الطفولة.

وبدا الآن وهو واقف فوق الطوافة الخشبية برجليه الطويلتين غريباً عن الحنان. تغمر الشمس شعره الاحمر كأن فوق رأسه خوذة فولاذية، وكل عضلة في جسمه مستعدة للنضال.

هل الزواج من رجل مثل لوكان يوفر الاستقرار والدفء والمحبة؟ هل يوفر الجنة؟ هل يبدد الخوف والرعب اللذين يصخبان بداخلها ويشعرها بالحب الحقيقي؟ حدقت كارا بلوكان وعضت على شفتيها. . . لن يكونا قريبين. ان اشياء عديدة تفرق بينهما. أهمها مسز ولياته تجاه برايد. انها تملي عليه كل تصرفاته. وهي الدافع الرئيسي لزواجه منها بدلاً من ان يكون الدافع الحقيقي الحب الذي يربطهما. حين يكون لهما ولد سيمنحانه للبيت الكبير لتكتمل التقاليد العائلية لآل سافدج وتتواصل مثل النهر.

كان النهر يجري سريعاً عند المصب وقد اصبح عريضاً حيث يلتقي

البحر. بدأت الصخور تظهر. واختفت الغابة الخضراء الى الشمال وبدا البحر أخضر بلون عيني لوكان. شعرت به يزداد عصبية كلما اقتربوا من خليج التنين وتظهر عليه علامات الانفعال والترقب.

- نحن نسير الآن مع التيار الى داخل الخليج. تمسكي جيداً لأن هذا الجزء من الرحلة قاس وصعب...

كانت الأمواج تتقاذف الطوافة والمياه هائجة داخل الخليج. وقادها جوليوس بمهارة بين الصخور قرب بحيرة ضحلة كانت مياهها كالزمرد الاخضر المذاب. وفوق البحيرة مباشرة كان المدخل الرئيسي للبيت الكبير. بيت التنين. وبدا شامخاً قوياً يتحدّى السنين ويوحي بالغموض والتأمل.

حبست كارا أنفاسها رهبة امام ضخامة حجمه. كان مبنياً فوق الصخور يتحدّى كل عوامل الطبيعة وشرورها. نوافذه تلمع كالعيون وأجنحته تمتد كأنها تستقبل العروس الغريبة.

كان رذاذ الماء قد ملأ عينيها وعلقت حباته بشعرها الأسود. ونظرت الى لوكان الذي كان يلتهم البيت الكبير بعينيه. لقد خلع عن وجهه كل أقنعته وبدت امارات العذاب واضحة عليه في مزيج من الحب والكره. شعرت كارا بالحسد يأكلها. كيف تغار من حبه للبيت الكبير؟

سحب جوليوس الطوافة الى ممر حجري بجانب البحيرة وقفز ليربطها جيداً بالحبال المتينة. واحست كارا بذراعي لوكان حولها كالفولاذ. حملها بين يديه من الطوافة الى الممر الحجري المحاط باشجار مرجانية وأزهار بحرية تجمعت فوق الماء امام مدخل البيت. كانت الدرجات المؤدية اليه حجرية كبيرة تشبه أقدام العمالقة.

قال لوكان وهو يصعد بها اولى الدرجات والماء يغمر كاحليه:

- نسميها سلالم التنين.

كانت تمسك بكتفيه حتى وصل بها الى الدرجة الرابعة حيث انزلها لتقف على رجليها.

- هناك مدخل آخر للمنزل. وأشار الى الصخور العالية في الجهة الاخرى.

- لقد حفر المهندسون نفقاً وسط الصخور في أيام جدي ووضعوا

مصعداً حديدياً كمصعد عمّال المناجم. المصعد مريح ولكنه لا يؤمن المنظر الرومانسي الذي نحظى به ونحن نصعد سلالم التنين.

رأت كارا جوليوس يحمل حقائبها الى البيت. نظر اليها وابتسم. كان جوليوس يعود بأصله الى قبيلة همجية شرسة وحبه للوكان حب الصديق لصديقه وليس الخادم لسيده فالدم الايرلندي في عروق زوجها لا يحتمل استعباد الناس بعضهم لبعض، ونفسه الثائرة لا تقبل العبودية.

صعدا السلالم سوية ولامست كارا بيديها أوراق العرائش الخضراء وهي في طريقها الى مدخل البيت.

كانت تتعجب من جمال الطبيعة الخلابة وهي تمشي كأنها عصفور يطير لأول مرة الى المجهول.

البيت الكبير بلون الذهب يشع تحت وهج الشمس. مرتفع وشامخ ككبرياء وغطرسة آل سافدج الثوار الذين ثبتوا أقدامهم في هذه الارض التي أنبتت قصب السكر الابيض والكاكاو والتوابل لتغزو منازل العالم.

كانت سلالم نصف مستديرة تصل الممر بالمدخل الرئيسي، لها أعمدة ضخمة في الساحة امام الباب الخشبي الكبير حيث حفرت شارة التنين فوق الحجارة وتحته شعار آل سافدج. وفي أعلى العواميد ورود مزخرفة يانعة كأنها طبيعية تحت ضوء الشمس. وفي الطوابق التالية العديد من الغرف لها شر[illegible]ت ونوافذ كبيرة كالأبواب. البيت يشبه الهيكل تتدلى منه نباتات معلقة أزهار[illegible]ا مفتحة. وتبدو سهول الكاكاو في مؤخرة البيت.

أشعل لوكان سيكارة وقال:

ـ الجناح الأيسر يطل على البحر والجناح الأيمن يطل على حقول القصب. تملك يا كارا كل شيء ترينه: برايد يملك المنزل والأملاك وانا املك [illegible]لاء والطاعة له.

قالت وهي تتنفس بصعوبة:

ـ كم [illegible]و رائع.

ـ ستعت[illegible]ين عليه. تعالي. سندخل من هذا الباب.

أشار الى ال[illegible]مين وصعدا درجات قليلة وسط الساحة. ووصلا الى باب كبير فتحه لو[illegible] بجذل ودخلت كارا الى القاعة الكبرى في البيت الكبير.

رأت كار[illegible] التنين البرونزي فوق رف المدفأة. وكذلك الكأس الذهبية

التي هي أقدم من المنزل. هذه الكأس التي رهنها آل سافدج الاشداء ليشتروا الارض التي زرعوها. ومع الوقت استردّوها بعد ان بدأوا يجنون الثروة الطائلة من زراعة قصب السكر. كانت تنظر حولها مندهشة:

- انه كقصور الملوك يا لوكان. انا... انا لم اتصور انكم عائلة غنية جداً.

ضحك لوكان وهو ينفض رماد سيكاره في المدفأة وقال:

- زمن امتلاك آل سافدج أفخر انواع الكريستال واللوحات الزيتية من صنع كبار الفنانين قد انتهى يا كارا. نحن نحصل على مدخول معقول من الزراعة. تلك الايام مضت الى غير رجعة حين كان السكر هو طعام الاغنياء وزراعته توفر الثروة الطائلة، كما حصل لأجدادي هنا.

وأشار الى صورة شاب معلقة في القاعة. انه شديد الاناقة وقد عاش في عصر سابق. وله عينان عابثتان كعيني لوكان. قال:

- انه احد اجدادي.

- هل انت وشقيقك توأمان لا فرق بينكما؟

كان هذا سؤالها الوحيد.

- سترين بنفسك الشبه بعد قليل.

قال ذلك ورفع الكأس الذهبية.

- انها عادة من عادات آل سافدج ان يهب العروسان نفسيهما الى خير ومنفعة هذا البيت. سيقدم لنا برايد، رب البيت، الشراب في هذه الكأس وسنشرب منها ونقسم على ذلك. هل انت مستعدة يا كارا؟

- لقد تزوجتك يا لوكان وسأشاركك حياتك. انا افهم ما تعنيه التقاليد والعادات وروابط القبيلة. انا يونانية. نحن ايضاً نعطي لرب البيت سلطة فوق كل اعتبار. سيتطلب شقيقي بعض الوقت قبل ان يسامحني لأنني تزوجت دون موافقته...

- انا آسف لما حصل.

مشى اليها وشد على يدها. واحست ان باباً خلفها قد فتح في اخر القاعة. سمعت دواليب المقعد المتحرك تسير فوق الخشب. مر قربها شيء اسود ضخم ووصل الى لوكان يسلم عليه. كان ذلك كلباً كبيراً وضع مخالبه على كتفي لوكان وعيناه تلمعان بالمحبة.

- انت مجنون كبير.

كان لوكان يداعب كلبه بحنان، وكارا تسمع اقتراب الدواليب نحوها وهي تسير ببطء. استدارت.

التقت كارا عينيه ووجدت نفسها تتيه بداخلها. وجهه جميل وآمر فيه خطوط حزينة وقد خطا الشيب رأسه الأشعث. كان مقعداً في كرسيه الذي يبدو كالعرش وقد جعلها تشعر انها هي الضعيفة.

- وصلتني الانباء السارة البارحة يا لوكان. لقد تزوجت في فورت فرناند.

كان صوته عميقاً. واضاف:

- اتمنى ان تكون اجراس الزفاف قد هللت فرحاً لك ولزوجتك كابريس.

عم القاعة صمت رهيب. ولف لوكان ذراعيه حول كارا بحنان. فكرت كارا في نفسها... ان برايد ينتظر ان يعود لوكان بزوجة تدعى كابريس!

- هذه كارا. التقينا في فورت فرناند منذ عشرة ايام بعد رجوعي من باريس. كارا يونانية.

- فهمت.

نظر برايد الى كارا ليرى تأثير كلامه عليها.

قالت كارا في نفسها... من هي كابريس؟ انها ولا شك فتاة باريسية كان يأمل لوكان ان يتزوجها.

وقال برايد.

- اهلاً بك يا كارا في خليج التنين. لقد حان الوقت لامرأة صغيرة ان تمنح الأولاد لهذا البيت الكبير. عندنا رو الصغيرة ولكنها تحتاج لمن يلعب معها. هل اخبرك لوكان عنها؟

- نعم يا سيدي.

كانت ما تزال تشعر بالبرودة رغم وجود ذراعي لوكان حولها. لو اخبرها عن كابريس ولم يتركها تكتشف غريمتها بنفسها...

- انني اتلهف لأتعرف الى رو وكلير.

قال برايد:

ـ رو عندها درس الآن. اما كلير فانها تصنع لنفسها رجلاً من الحجارة لا يمكنه الرد على اسئلتها او حتى جرح قلبها.

ـ تبدو كلير حساسة للغاية وليس من الحكمة دائماً ان تكون المرأة رومانسية.

ـ انك رومانسية على ما اعتقد.

قال برايد وهو يشير الى مقعد قرب النافذة يشرف على الساحة. جلست كارا عليه بينما جلس لوكان في مقعد وثير وقبع كلبه تحت رجليه. التوأمان متشابهان كلياً ولكن الشيب في رأس برايد يجعل عشرات السنين تفرق بينهما.

كانت عربة طعام في طريقها اليهم مع الخادم الزنجي الذي يرتدي سترة بيضاء. تناولوا القريدس مع كعكة القهوة التي تذوب في الفم والقهوة الساخنة. وقال برايد:

ـ اعطيتكم جناح العرسان... الجناح الايسر الذي يطل على البحر. جناح الزمرد. انك مغرمة بالبحر يا كارا!

ـ لقد ولدت بجواره. احب صوت الموج المتكسر فوق الصخور ومنظر الزبد الابيض وخصوصاً في الليل.

حين تكلمت عن الليل رأت برايد يراقبها عن كثب. ماذا يظن بها؟ انها نحيلة جداً تشبه الغلمان وربما لن تنفع في المهمة الموكولة اليها... تأمين الوريث لآل سافدج.

قال برايد:

ـ اذن. قبل عشرة ايام كنتما غريبين؟ انه غرام صاعق.

قال لوكان:

ـ تقريباً. اظن ان كارا ترغب في الصعود الى غرفتها لترتاح. امضينا ليلتنا البارحة في الخليج الفرنسي. نمنا على الرمال. لم ارغب في المجازفة في تيار الخليج ليلاً.

واستغرب برايد:

ـ انت يا لوكان حذر؟ علينا ان نبحث في بعض الأعمال التي اخذتك الى باريس. من المستحسن ان تتركنا كارا. ان الأعمال تضجر الجنس اللطيف.

احست كارا ان برايد جارح في كلامه مع لوكان. ربما لشعوره بالضجر والخمول مع انه قوي جداً... من آل سافدج.
حضرت الخادمة بعد ان قرع لها برايد الجرس. وقفت كارا لترافقها.
- خذي السيدة سافدج الى جناح الزمرد.
ونظر الى كارا:
- سوف لن اؤخر لك زوجك كثيراً. تصرفي كأنك في بيتك هنا في خليج التنين.

وهل من الممكن ان تتصرف كأنها في بيتها؟ صعدت كارا مع الخادمة درجاً من الخشب الأسود. كانت طوابق وشرفات مستديرة تشرف على القاعة الكبرى.

كان بصيص من النور يخرج من احدى الغرف في الطابق الثاني. وخرجت من الشرفة فتاة تلبس ثوباً اصفر ذهبياً وكأنها تطير فوق السلالم. قالت في نفسها... ليس هذا معقولاً. كيف تطير هذه الفتاة. وتذكرت ما قاله لوكان عن الشبح الذي يعيش معهم في البيت الكبير. شبح امرأة تنزل من الصورة من احدى الشرفات وهي ترفل بالحرير الاصفر حين ينام الجميع.

وصلت كارا الى الجناح المخصص لها ولزوجها وكان يتكون من غرفتي نوم متصلتين ببعضهما. كانت شرفة زجاجية تطل على اجمل منظر رأته العين... الأمواج الصاخبة تتكسر فوق صخور خليج التنين.
وقفت كارا تحدق في الخليج. ولاحظت الصخور المرتفعة كأنها تلة من الاصداف اللامعة تحت وهج الشمس. هل هذه الصخور التي حاول التوأمان تسلقها في الماضي؟ هل وقع الحادث لبرايد هنا فوق هذه الصخور؟

تركت الغرفة الزجاجية ودخلت غرفة نومها تحاول ان تزيح الصورة القاتمة من مخيلتها. لماذا رغب برايد ان يضع لوكان وعروسه هنا في هذا الجناح؟ الكي تكتشف مسرح الحادثة المؤلمة؟ الأنه اراد ان يتذكرها لوكان يومياً كلما نظر من النافذة او كلما اخذ زوجته بين ذراعيه؟
دخلت غرفة نومها وفيها سرير واسع كبير مع كنبة قماشها من اللون الاخضر. عواميد السقف مزخرفة بالتنانين وخزانة نصف مستديرة قرب

السرير فوقها ساعة فرنسية. وخزانة ملابس كبيرة جداً مع طاولة للزينة.
وضعت كارا ادوات الزينة فوق الطاولة والقت نظرة على نفسها في المرآة. عضت على شفتيها استياء. لا عجب ان برايد حدق فيها كثيراً. في شعرها الأجعد وانفها اللامع وثيابها التي لا تشبه ثياب العروس بشيء.
عليها ان تأخذ حماماً وتغير ملابسها. ستلبس الفستان الابيض. انه يجعلها تظهر هادئة ومتزنة.
فتحت خزانة الملابس لتخرج ثوبها وصرخت فزعة حين قفزت من داخل الخزانة فتاة صغيرة وهي تقهقه.
- انت ايتها العفريتة الصغيرة.
وامسكت بها كارا.
- لا تلعبي معي هذه اللعبة. من انت؟
- لقد قفزت فزعاً. نظرت الطفلة الى كارا مسرورة بنجاح لعبتها. كانت عيناها الخضروان ترقصان وسط وجهها الطفولي بمرح وعبث. شفتاها بلون الكرز البري وشعرها احمر مصفر. فتاة جميلة للغاية. سألتها باهتمام بعد ان هدأ روعها:
- هل انت رو؟
- نعم. وعمري ثماني سنوات واعتذر لأنني اخفتك. قالت دا انك لعبة جميلة ومدللة. وقالت ان انفي سينزل الى اسفل لأن ينك لن يهتم بي بعد زواجه. وقالت ايضاً ان كل وقته سيكون مشغولاً في توفير السعادة لزوجته.
سألتها كارا وقد اعجبت من اقوال رو كأنها قد حفظتها عن ظهر قلب.
- من هو ينك؟
- انه لوكان.
صعدت الى كرسي طاولة الزينة وبدأت تعبث بالادوات.
- اقول له ينك لأنه عمي الصغير. اناديه عمي مع ان الجميع يعرفون انه...
لم تكمل جملتها. وحدقت في كارا وقالت:
- اظن انك العروس.
- نعم انا كارا زوجة لوكان.

جلست كارا على سريرها. تعرف ان رو متبناة. ولكن من الغرابة ان تكون لها العينان الخضراوان ولون الشعر الأحمر. اي شخص يراها لا بد ان يقول انها من ال سافدج بدون ادنى شك. قالت رو:

ـ انت صغيرة.

قالت كارا وهي تبتسم:

ـ انني في الحادية والعشرين من عمري.

سألت رو:

ـ هل ستحبين العيش معنا؟ ستبقين هنا ولو لم تعجبك الحياة. هكذا تقول عمتي كلير. . . انه لا مفر من آل سافدج وانت الآن من آل سافدج.

قالت في نفسها ان رو على حق. انني انتمي الى هنا وسأبقى هنا. شعرت كارا بدخول لوكان غرفة النوم وكان عاقد الحاجبين ولكنه ما ان رأى رو حتى ابتسم.

ـ اهلاً يا عفريتة.

حمل الفتاة وقبلها. كان لون شعرهما واحداً مما حير كارا. سألت رو:

ـ هل جلبت لي هدية معك من باريس يا ينك؟

ـ نعم. كالعادة جلبت لك هدية.

ثم نظر الى كارا النحيلة فوق السرير الكبير وقال:

ـ تبدين كضفدعة فوق ورقة كبيرة.

ذهب لوكان مع رو الى غرفته المجاورة. وبعد دقائق عادت الطفلة راكضة مهللة:

ـ انظري ماذا جلب لي ينك.

كانت تلبس اسورة فضية في وسطها ساعة صغيرة على شكل قلب صغير.

ـ اسمي محفور بداخلها ومكتوب عليها. . . مع خالص حبي. من عمك لوكان. علي ان اريها لدا.

وركضت رو خارجة من الغرفة وهي تقول:

ـ اراهن ان دا سيسرها ان تعرف انك لست لعبة جميلة مدللة يا كارا.

خرجت رو مسرعة بينما وقف لوكان في باب غرفته مسروراً:

ـ انها عفرية صغيرة اليس كذلك؟

ـ نعم هي كذلك.
قالت كارا وهي تفكر . . . انها عفريتة ابنة عفريت. طفلة صغيرة لها لون عينيه وشعره وبالتأكيد من فئة دم واحدة.

٦ ـ السيدة الذهبية

بردت الشمس بعد الظهر واستطال الظل. كانت كارا تجيد ركوب الخيل. وأعطاها لوكان مهرة بلون الكريم اسمها سيلكي بينما ركب هو حصانه الاسود كالليل. وذهب كلبه الكبير جت برفقتهما يركض بين حوافر فرسيهما.

كانت صفوف قصب السكر المزروعة في اتلام لا نهاية لها كبرت واستحالت بلون الفضة الخضراء تطاول قامة الرجال الذين يحصدونها بواسطة سيف قصير مقوس بعد ان تحرق اوراق القصب. قال لوكان وهو يشير بيده:

ـ اخضرت الحقول. واذا بقي الحظ حليفنا سيكون لدينا محصول جيد هذه السنة. سيحضر العمال من كل انحاء الجزيرة وقت الحصاد. وسيغنون الاغاني القديمة وهم يقطعون القصب تحت اشعة الشمس الحارة. انه منظر بديع يا كارا.

ابتسمت موافقة ونظرت اليه. كان يرتدي قبعة تغطي عينيه الأخاذتين ويقف فخوراً بمزروعاته وموسمه المنتظر. صهل حصانه وتراجع قليلا الى الوراء بعد أن طارت حشرة كبيرة من بين القصب وحطت فوق رأسه الشامخ. فهدأ لوكان من روع الحصان وربت بحنان على رأسه. كانت يده القاسية السمراء تعمل بجد ونشاط. قالت كارا:

ـ حقول القصب تشبه محيطاً أخضر ناضجاً.

وأكملا جولتهما فوصلا الى مصنع تكرير السكر الحديث الذي يتصاعد الدخان من مداخنه الى السماء. سألها:

- هل ترغبين في رؤية للمصنع من الداخل؟

وترجلا عن الفرسين. لاحظت كارا ان العمل داخل المصنع كان قليلاً. ولم يبدأ الموسم بعد.

قال لوكان:

- الضجة تصم الآذان حين يكون المصنع يعمل بكل طاقاته.

كان يشير الى القاطعات والعصارات الكبيرة التي تقطع وتعصر القصب وتحوّله الى سائل يقطر في مراجل كبيرة للغلي. ثم يكرّر ويحول الى بلورات دقيقة.

نظرت كارا الى الممر الضيق بين المراجل والخزانات. وارتعدت وهي تتخيل العمال قرب المراجل الكبيرة يراقبون عملية غلي السكر وشكل المدخنة في البرج تنفث السحب السوداء.

ركبا الفرسين من جديد وتابعا جولتهما. مرّا قرب هضبة صغيرة يقبع فوقها مصنع السكر القديم. كان المصنع يدار بواسطة المراوح التي تعمل بقوة الرياح. نوافذه محطمة والمكان مهجور يثير التأمل. شعرت كارا برهبة وهي تعيد في مخيلتها أحداث الماضي التي جرت هنا. حبست انفاسها وكان يمكنها ان تقسم ان أحداً تحرك داخل البرج القديم يراقبها من وراء النوافذ. شعرت بأن المكان مسكون بالاشباح. سألته:

- هل يلعب الاطفال في هذه الخربة؟

فنظر اليها مستغرباً:

- اشك في ذلك. المكان مهجور وحتى الزنوج والعمال يبتعدون عن هذا المكان المخيف... أرغب في هدمه ولكن برايد يعارض. يعجبه الغموض الذي يلف المكان. يشعر بقيمته الاثرية بالنسبة للمصانع الحديثة التي نبنيها حالياً كي نستطيع المنافسة في السوق.

اشارت كارا الى النافذة بعصا الزكوب وقالت:

- لوكان. انني متأكدة أنني رأيت شخصاً خلف النافذة.

- ربما هو وطواط أو خيالك.

ادار حصانه ونظر مرة أخرى الى المصنع القديم. مرت الرياح الخفيفة عبر القصب فتحركت الدواليب الهوائية فوق البرج وأحدثت صوتاً خفيفاً ثم توقفت.

وضحك لوكان:
- المكان يغمره الغموض. ربما تكون لويلا سافذج ما تزال تنتظر عشيقها الذي اعتادت على لقائه هنا في غياب زوجها عن البيت.
قالت وهي ترتجف:
- لا تمزح الآن يا لوكان. الموتى التعساء يتركون غموضاً خلفهم...
- ولكننا نعيش ولسنا تعساء على ما أظن.
والتقت عيناه بعينيها:
- ما رأيك في برايد؟
- انه متكبر ومتعجرف ويعيش في الماضي...
ثم لكزت المهر وطارت سيلكي بها. لحقها جت بعد أن نبح بقوة. وكانت مسرورة جداً وهي تسمع حصان لوكان يسابقها.
كانا يتراقصان فوق فرسيهما ووصلا مع الغروب الى سهل الكاكاو. وقفا امام الغابة ورائحة الكاكاو الناضج تملأ المكان ونقيق الضفادع يتردد بين الاشجار.
- الا يكفي هذا يا كارا من تعويض؟ السهل والخليج... كي تهبيني نفسك؟
شعرت كارا بأنفاسه العميقة ورجولته. كان يلبس لباس الركوب الكاكي وقميصاً ابيض. ولم تتبين تقاسيم وجهه لأن الظلام كان مخيماً ولكنها كانت تتخيل شكل فمه الجريء. كانت تتمنى ان يعانقها وان يضمها بقوة بين ذراعيه حتى يلتصقا ولا يبقى بينهما أي شيء... لا أشباح ولا شابة اسمها كابريس.
كابريس... هل تركها في باريس؟ هل افترقا لأن حبه لها لا يحتمل وجود اخيه برايد قربهما؟
وركبا وسارا في طريق العودة. كانت الفوانيس الجانبية مضاءة في مدخل البيت الكبير. ورائحة التبن في الاسطبلات تجعل الفرسين ينفخان في الهواء. ترجّل لوكان قبلها وأمسك بها بكلتا يديه وحملها من فوق المهر. كانت ترغب في لمساته ولكنها تخاف لأنه لا يحبها... تملصت منه ولكنه امسكها من الكوع وجذبها اليه وقد نفد صبره.

ـ حسناً.

وضحك بعبث. تراجعت كارا خلف عامود في الاسطبل وقد اتسعت عيناها:

ـ ما أنا بالنسبة اليك يا لوكان؟ هل تلعب بي كما تفعل بدواليب الحظ؟

قال بعد ان اشعل سيكارة:

ـ ربما. عندما يتزوج رجل بامرأة يتنازل عن حريته لا يكون واثقاً من النتائج. الزواج لعبة حظ.

ابتعدت كارا عنه. كانت ترى من حيث تقف نوافذ الغرف. ورأت شبح رجل يتحرك في غرفة مضاءة بنور قنديل أحمر. كان شبحاً مقعداً فوق كرسي متحرك. وقفز قلبها. هل شاهد برايد شقيقه لوكان وهو يقبلها من النافذة؟

ـ عليّ أن اذهب وأجهز نفسي للعشاء.

قالت كارا ذلك ومشت بسرعة مبتعدة عن لوكان.

كانت ما تزال تلبس ثيابها حين سمعت قرعاً على بابها. وتجاهلت الطرق لأنها لم تكن مستعدة لمجابهته الآن. تكرر الطرق. قالت وهي ما تزال تحكم أقراط اللؤلؤ في أذنيها:

ـ تفضل.

فتح الباب خادم أسود يلبس سترة بيضاء ويحمل ابريقاً من الفضة فوق صينية مدورة. طلب منها الخادم ان تجرب طعم الشراب بطلب من سيده لوكان.

ـ افضل شراب عصير النخيل الطازج الموجود في الجزيرة.

قال لوكان دون أن يدخل مع الخادم. دخل جت ووقف يسد الباب بينها وبين لوكان.

ـ انه جيد.

شربته لأن الخادم صموئيل كان واقفاً ينتظر موافقتها على الشراب. وأكدت له أن الشراب لذيذ. فغادر صموئيل الغرفة وترك الباب مفتوحاً.

قال لوكان:

ـ انه شراب وطني. مزيج من عصير النخيل وبعض عصير الليمون الحامض وفاكهة اخرى يضاف اليه قليل من القرفة. هل أعجبك؟

ـ نعم.

شعرت كارا بالدفء يغمر حناياها.

ـ ألم تنتهي بعد من تجهيز نفسك؟

ونظر لوكان الى فستانها اليوناني الشكل وقد ظهر السحّاب مفتوحاً لم يقفل بعد.

ـ هل تستطيعين ان تنزلي لوحدك الى غرفة الاستقبال بعد أن تنتهي؟ الغرفة ذات البابين على شمال القاعة الكبرى.

هزت كارا رأسها ايجاباً. وأغلق لوكان الباب خلفه ونزل مع جت السلالم الى غرفة الاستقبال.

انهت كارا شرابها ولامست بأصابعها التنين المحفور فوق الابريق الفضي. تنين سافدج موجود في كل مكان من المنزل... وهو لا يحب عرائس آل سافدج.

باصابع ترتعش حاولت ترتيب ثنايا فستانها المكسر وكانت اشترته في اثينا حين كانت تتسوق بصحبة دوميني. كم كانت تشعر بالحرية عندئذ. كانت دوميني تزداد جمالاً يوماً بعد يوم منذ زواجها. والحب الذي يربطها ببول يضفي عليها بريقاً داخلياً. ذهبت كارا برفقتها الى عرض ازياء واعجبت بهذا الفستان. كان مصنوعا من القماش الرقيق يمتاز بالأنوثة ويختلف كثيراً عن بقية ثيابها التي اعتادت ان تلبسها كل يوم. كانت تبدو فيه رقيقة وجذابة. ارادت ان تلبسه يوم يعود نيكوس من اميركا في احتفالات عيد الميلاد... ولكنه لم يعد. كتب يقول انه تزوج ولن يعود الى انديلوس.

نظرت كارا الى نفسها في المرآة. شكلها غريب عليها... انه شهر أيار وقد تزوجت... نظرت حولها في غرفة نومها... السرير الكبير ذو قوائم معدنية عالية. هذا السرير سيضمها ولوكان وله كل الحق في ذلك. الغرفة المجاورة لغرفتها فيها كنبة كبيرة للاستلقاء. اشياء لوكان مبعثرة في الغرفة. سيكاره وأدوات الحلاقة وروب معلق وراء الباب وبيجاما حريرية لونها غامق كانت مرمية فوق الكنبة. تذكرت ما قاله لها... لن يبقى الخصام

يشاركنا فراشنا طويلاً. كان هذا انذاره لها سابقاً. اخذت كارا نفساً عميقاً وخرجت من الغرفة واغلقت الباب وراءها.

الشرفات مضاءة بنور خافت. نزلت السلالم. ووقفت في الشرفة أمام صورة المرأة الذهبية. خيل اليها ان المرأة الذهبية اختفت من الصورة كلياً. عاودت النظر الى الصورة ولاحظت انها خدعة ناتجة عن النور والظل. الصورة لا ترى جيداً الا في نور الشمس.

خداع النظر هو الذي جعل المرأة الذهبية تخرج من اطارها وتمشي في المنزل كالشبح. انها خرافة ولا شك. ارتعدت فرائض كارا وهي تفكر... المنزل هائل والمخيلة واسعة وله تاريخ درامي عريق. الجدران المغلفة بالاخشاب السوداء بالاضافة الى النور والظل الخفيف والظل... كل هذا يسبّب خداعاً بصرياً.

لا بد من حفلة كبيرة تبدّد فيها الموسيقى والضحكات هذا الجو الكئيب. ستقترح على لوكان اقامة حفلة بعد ان تستقر ولا تعود غريبة عن الجميع.

كانت كارا منهمكة في تفكيرها فلم تلاحظ شخصاً يتبعها خفية. غطت يدان عينيها. وصرخت فزعة:

- من انت؟

تكلمت باليونانية كعادتها في الاوقات العصيبة.

- اعذريني.

تركتها اليدان. والتفتت خلفها لتواجه رجلاً شعره اشقر وعيناه زرقاوان ينظر اليها مصعوقاً.

- ظننتك شخصاً آخر. انك تشبهينها كثيراً من الخلف...

بدأ قلب كارا يخفق بسرعة وقالت:

- أشبه من ؟

- لا. الآن ارى انك لا تشبهينها ابداً. انها خدعة الظلال والنور. انك نحيلة...

سألته بالحاح ترغب في معرفة الحقيقة:

- عمن تتكلم؟

- عن كابريس.

كابريس مرة ثانية! نزلت كارا السلالم برفقته. قالت:
- أنت تعرف كابريس. أنا لا اعرفها ابداً ولكنني أظن أنها صديقة حميمة لزوجي...

عبس الرجل. انه نحيل الجسم ولكنه قوي الشكيمة ويلبس سترة بيضاء. كانت اصابعه لينة مرنة فوق عينيها. قال:
- الآن بدأت أفهم. أنت زوجة لوكان.
- نعم. انا هي المفاجأة التي جلبها معه الى البيت.
بدأت تمزح:
- برايد ايضاً ظنّني كابريس مع انه لا يعرفها ولم يرها ابداً.
- انها لم تأت الى خليج التنين.
كانت لهجته غريبة.
- عرفتها يوم كنت في باريس. وهناك ايضاً التقيت كلير سافدج حيث كانت تدرس الفنون. كانت كابريس تعمل موديلاً وأنا كنت احاول ان اكتب قصة دانمركية عظيمة... لم اكتبها بعد.
وابتسم لنفسه.
هنا في خليج التنين اعمل مدرساً خاصاً لرو وأقوم بالتدليك للسيد برايد... انه يعاني من آلام في اطرافه التي لا يستعملها. انا مدرب في الدانمارك على عمل التدليك الطبي.
فهمت.
ضحكت كارا تجاوباً مع ابتسامته. كان رجلاً جذاباً.
- اسمي نلز أريكسون
وانحنى لها متأدباً.
- انني سعيد بمعرفتك يا سيدة سافدج.
- اشكرك يا نلز. هل تسمح لي بأن اناديك باسمك؟ انني غريبة هنا ويسرني أن اعتبرك صديقاً.
- انني أجيد دور الصديق... هل نكمل طريقنا الى قاعة الاستقبال؟ السيد برايد يصرّ على وجوب المحافظة على مواعيد الطعام او أي شيء آخر. يعامل جسده كالآلة التي تبلى اذا لم نكشف عليها في أوقات معينة.
- انه رجل ذو بأس ونفوذ بالرغم من عاهته.

قالت وهي تنزل السلالم الخشبية المصنوعة من مركب القرصان المحطم.

- انه عنيد لا يغلب. منذ متى يا نلز تعيش في البيت الكبير؟

قال نلز يبتسم مشجعاً:

- منذ سنة تقريباً. هل تدهشك عظمته القاهرة؟

هزت سارا رأسها ايجاباً وقالت:

- ان ال سافدج كلهم قاهرون.

- حتى زوجك؟

ضحك نلز وهو يلقي نظرة على جسدها النحيل داخل الفستان الابيض الشفاف.

- لوكان شخص معقد جداً. أشعر انني اعرفه أقل مما اعرفك ونحن لم نلتق الا منذ عشر دقائق. اليس هذا سخيفاً؟

وصل نلز وكارا الى القاعة. دخلا غرفة الاستقبال وكانت النار تتأرجح في المدفأة وتضفي على المكان دفئاً محبباً. كانت النار متأججة بطلب من برايد. انه يشعر بالبرودة اكثر من الآخرين. كانت ألسنة اللهب تضفي ظلالاً على الأثاث الأثري في القاعة.

قال برايد وهو يراقب ثوب كارا بكل تفاصيله:

- لقد تأخرتما قليلاً.

قالت كلير التي جلست بكامل أناقتها فوق أريكة مخملية وقد حملت كأساً من الشراب في يدها:

- الوقت صنع للعبيد.

كانت نحيلة شعرها أحمر يميل الى الاصفرار وتبدو في ثوبها الأزرق كأنها لم تعرف دفء العاطفة ابداً.

- كلير، أعرفك بكارا.

قال لوكان ثم مشى الى طاولة جانبية ووضع عليها الشراب وصب كأساً لكارا وآخر لنلز. قالت كلير:

- شكلك يوناني بدائي وليس كلاسيكياً. عيناك بيزنطيتان. اود أن تجلسي امامي يوماً كي أقوم بنحت تمثال لك.

ضحك لوكان قائلا:

ـ لا تنبهري . كلير تنتمي الى المدرسة الحديثة للنحت ولن تعرفي نفسك حين تفرغ من نحت تمثالك .

قال نلز بنظرة جادة تخفي ابتسامة ذات معنى :

ـ اعمال كلير معترف بها في بلاد اسكندينافيا .

قال لوكان :

ـ انتم في الدانمارك شعب بارد . أنا افضّل في النحت شيئاً اعرفه كانسان . كتلة رخامية في وسطها فتحة مدورة لا تمثل لي المرأة ابداً .

قالت كلير:

ـ انك رجعي تعيش في الماضي . . . أعجب يا كارا لماذا لم تهربي آلاف الاميال عن شقيقي هذا . اسمه وحشي وطبعه وحشي . هذا رأي الجميع فيه .

ـ انني اتعجب من تهوري .

ونظرت كارا الى الرجل الذي اصبح زوجها بتكوينه البديع الذي لا يخفى على أحد، وشعره الاحمر ونظراته العابثة وهو يداعب رأس كلبه بحنان . كان برايد يراقب شقيقه بحسد . قال :

ـ كان هذا الحيوان تائهاً في غيابك .

ـ انه يحبك ايضاً يا برايد .

وتوقف لوكان عن مداعبة رأس كلبه .

ـ هراء . انا لا استطيع ان أدرّبه يوميا واركض واياه . الكلاب كالنساء ترغب في الركض خلف الرجل .

قالت كلير:

ـ لكل قاعدة شواذ يا برايد . أنا مثلاً لا ألحق بالرجل .

قال لوكان مداعبا :

ـ ترغب كلير ان تصدق انها لا تعرف الا الفن في قلبها . كل الذين يعملون بضراوة يرغبون في نسيان شيء . ربما تحاول كلير أن تنسى رجلاً ما وليس شيئاً .

قالت كلير:

ـ انا بالنسبة للرجل كتلة حجرية او رخامية لا حياة فيها . . . كالحجارة التي استعملها لتماثيلي . هل انا عبدة ، ام زهرة ، ام موضع تأمل للرجل؟

قال لوكان موارباً:
ـ انت امرأة . لا تحاربي الطبيعة يا كلير.
ضحكت كلير ضحكة رنانة وقالت:
ـ كوني امرأة وتمتّعي بالألم مع كل قبلة! السعادة تكمن في عملي وليس في علاقتي مع الرجل. الحب؟ الحب يتطلب كل نبضة وكل عصب وكل حس. انا واثقة من أن كارا توافقني على رأيي . انها يونانية . واليونان شعب عاطفي مع مسحة من الحزن. العاطفة تحتاج لمن يتجاوب معها. والحزن يلزمه من يُسكنه ويلطفه.

ارتبكت كارا. نظر الجميع اليها ليروا شعاع الحب في عينيها وعلى شفتيها. وارتاحت حين دقت الساعة الثامنة. . . موعد العشاء. فتح باب غرفة الطعام ودخل الجميع. وجلس على رأس الطاولة في مقعده المتحرك رب العائلة. . . برايد.

قدّم الحساء أولاً في وعاء عليه تنين ال سافدج وكان الشمعدان الفضي ينير الغرفة بضوء خافت وقد وضع في منتصف الطاولة. قالت كلير:
ـ لنشرب نخب العروسين. سأتلو بعض الابيات الشعرية لوايلد. . . كان حكيماً وعابثاً. قال: الاشياء الحلوة تتغير لتصبح مرّة. والاشياء المرة ربما تتغير الى سعادة وفرح.
ـ لننتظر دقيقة.

قال برايد وقد اعطى صموئيل اشارة. خرج لتوه. ونظرت كارا الى لوكان وقلبها يسرع في ضرباته. ان الذي قالته كلير ينطبق عليهما. كانت كارا تعرف القناعة والاطمئنان وقد خدعها لوكان وزال الاطمئنان عنها. وها هي الان تواجه العالم الجديد الغريب وفيه تيارات متصارعة خطيرة كالتي بين صخور خليج التنين. هل تحظى بالفرح والسعادة في النهاية؟

حضر صموئيل وناول برايد الكأس الذهبية المحفور فوقها شعار التنين. وملأ برايد الكأس الى النصف واعطاها الى لوكان. ثم اخذ يراقبه بعينيه الثاقبتين ليرى كيف يتقاسم الشراب مع عروسه.

قالت كلير ضاحكة:
ـ انها تمثيلية يونانية . كلنا نجلس الى طاولة الطعام نختبىء وراء اقنعتنا.

قال نلز وهو يتجنب النظر الى كلير:

- انني لست واحداً من العائلة.

- ربما تعزي نفسك بأنه لا غنى عنك في هذه العائلة كمدّرس خاص. ان رو لا تحتمل أي مربية لتعلمها، كما حصل سابقاً.

وضحكت كلير وهي تأخذ قطعة لحم محمرة من الطبق.

- ان للطفلة رو عصبية آل سافدج.

أخذت كارا بعض الخضار المطبوخة مع الزبدة وهي ترى كلير ترمق لوكان بنظرة لها معنى خفي.

وتناول الجميع المانجو بعد الطعام ثم عادوا الى قاعة الاستقبال. حين فتح الباب كانت الطفلة الصغيرة تقف بثوب نومها تبكي والدموع تلمع في مآقيها وعلى خديها.

- انا... انا سمعتها. سمعت السيدة الذهبية...

٧ ـ الحصان الذهبي

هدّأ لوكان من روع الطفلة بعد أن حملها في حضنه. وطلب لها الشوكولا الساخنة لتشربها وهي قرب النار في غرفة الاستقبال. كانت تضع رأسها على كتفه باستكانة وتصر أنها سمعت شبح السيدة الذهبية التي كانت ترفل بالحرير خارج غرفتها.

قالت كلير وهي تشعل سيكارتها:

ـ انك تتخيلين. رو تتمتع بخيال خصب... انها تحلم.

قال نلز:

ـ هذا لا يهم الآن. سوف اذهب واتفحص المكان قرب الشرفة. ربما يكون وطواط قد طار قرب النافذة وأحدث رفيف جناحيه صوتاً سمعته رو من غرفتها.

وتبعته كلير قائلة:

ـ سآتي برفقتك.

انها لا تعرف كيف تواسي طفلة ولا تستطيع أن ترى الاشياء كما تراها عندما تشعر بعدم الاطمئنان لكونها صغيرة وسط كل هذه الاشياء الضخمة حولها... البناء الجبار، الغرف الكبيرة العديدة. وحولها الخدم يثرثرون متشائمين. كارا نفسها تأثرت بقصة السيدة الذهبية التي قيل أنها الشبح الذي يلازم البيت الكبير حيث عاشت تعيسة.

كانت رو تستمتع بالدفء في احضان لوكان قرب النار وتستمع الى قصة الاميرة الايرلندية التي كان يقصها عليها. بدأ النعاس يدب في عينيها الخضراوين تدريجياً. وبدأ الشك ويساور كارا وهي تراقبهما سوية وتلاحظ

الشبه الكبير بينهما.

لا أحد يعرف والدة رو. لقد تركتها طفلة رضيعة على باب البيت الكبير تحت رحمة آل سافدج. أليس من غريب الصدف أن تحمل رو الصغيرة عينين خضراوين كعيني لوكان وشعراً أحمر بلون شعره بالاضافة الى حبه الكبير لها؟

غصت كارا وأسرع نبض قلبها. كان برايد ينظر اليها نظرة رثاء من كرسيه المتحرك. سألها:

ـ هل وجدت يا كارا أننا عائلة مستبدة؟

كان برايد يشرب وهو يحمل فنجانه في يده القوية الانيقة. صوته واضح خالٍ من اللكنة الايرلندية التي ما يزال يحتفظ بها لوكان.

ـ هل تشاركينني في قهوتي ام تفضلين القهوة الخفيفة؟

قال صموئيل:

ـ هذه القهوة يا سيدتي من جزيرة جامايكا

ابتسمت له كارا وهو يصب لها قهوة تركية في فنجانها الأزرق الصغير.

قال برايد:

ـ انني صعب المزاج على عكس لوكان الذي لديه ولع صبياني بالحلويات.

كان لوكان يشارك رو في الشوكولا الساخنة التي تشربها.

ـ وماذا حصل بعد ياعمي ينك؟ هل تزوجت الاميرة من المحارب؟

وهزته من كتفه:

ـ هل عاشت سعيدة الى الأبد؟

قال لوكان:

ـ نعم. عاشت في القلعة الموجودة فوق وادٍ صغير منعزل في ايرلندا. وكان لهيب النار يندلع في هواء الليل البارد وكانت الاميرة تلعب الموسيقى على القيثارة.

سألته رو:

ـ ما هي القيثارة؟

ـ انها آلة موسيقية تعزفها الملائكة يا صغيرتي.

ـ هل كانت الاميرة حقاً سعيدة مع المحارب؟

ـ نعم حتى غابا سوية في الغيب.

توقف لوكان عن الكلام وحمل رو بين ذراعيه كالطفلة الرضيعة.
ـ تعالي ياصغيرتي. سآخذك الى سريرك...
ـ لا.
بدأت تتلوى بين يديه ودموعها تنهمر من عينيها كالسيل.
ـ لا. لا أريد ان ابقى وحدي.
تركت كارا فنجان قهوتها جانباً ووقفت:
ـ أنا أبقى معها لحين تنام.
وابتسمت لها رو.
ـ هل تحبين أن أبقى معك؟
هزت رو راسها ايجاباً. وشعرت كارا بقلبها ينفطر على الطفلة الصغيرة الخائفة. نظرت الى برايد مودّعة فأمسك بيدها الرقيقة بين يديه الفولاذيتين وعلى وجهه تعبير من الألم.
قال برايد:
ـ للصغار مخيلة واسعة وأحلام كثيرة. لا تتركي نفسك على هواها مع أحلام الصغيرة يا كارا. في هذا البيت الكبير الحافل بالتاريخ العريق، علينا أن ننظر الى المستقبل... الى الاشقاء والشقيقات الذين ستحظى بهم رو قريباً.
سحبت كارا يدها بسرعة من يده وهي تقول:
ـ مساء الخير يا سيدي. وصعدت السلم مع الصغيرة رو. كانت تشعر ان برايد يعني ما يقوله حرفياً. أي انها ان انجبت ولداً سيكون شقيقاً فعلياً لرو،
كانت كلير ما زالت تحدث نلز على الشرفة في الطابق الاول. استدارت كلير على وقع الاقدام وقالت:
ـ هل انتما ذاهبان للنوم؟
ـ سأبقى مع رو حتى تنام.
وابتسمت كارا وهي ترتعش في الداخل لفكرة النوم في الفراش مع لوكان. رجل لم تعد تعرفه ابداً، غريب عنها ولديه صديقة حميمة في باريس وربما يكون هو والد رو التي تبنّاها شقيقه برايد.
قال نلز مخاطباً رو وهو يمر بيده فوق شعرها.

ـ أنت محظوظة لأن عندك الآن عمة حلوة صغيرة تهتم بك.

قالت لها كلير حانقة:

ـ انت مدللة ونحن نتساهل معك يا رو.

ثم ركضت تهبط السلالم وهي ترفل بثوبها الحريري الطويل.

نظر نلز نظرة مواربة الى كلير. ثم قال مخاطباً رو:

ـ ليست هناك أشباح في المنزل. فتشنا جيداً، أنا وكلير، ولم نعثر على أي شيء.

ارتعدت كارا لكلامه وأحست بالماضي يلفّها في بيت خليج التنين. حمل لوكان رو الى فراشها الكبير الضخم وكان القنديل في غرفتها ما زال مضاء.

كان ينير السرير الكبير ويترك ظلالاً في الزوايا وبين الاثاث المزخرف.

لفّ لوكان الاغطية حول رو جيداً. كانت صغيرة تحت ضوء القنديل.

ـ كارا ستغني لك لتنامي. تعرف اغنيات جميلة وتخجل ان تغني لي.

ـ ولكنها زوجتك!

ضحكت رو وقد سرّها انتباهه.

ـ نعم هي زوجتي وأنا ايضاً زوجها.

ألقى لوكان نظرة تساؤل على كارا عبر السرير الكبير مما جعلها تتشنج. وانحنى فوق رو وقبّلها:

ـ أراك غداً يا صغيرتي العفريتة.

ـ أراك غداً يا عزيزي ينك.

ومشى الى الباب ثم حدق في ثوبها الرقيق الذي يلف جسمها النحيل. وخلع سترته ثم حملها الى كارا ولفّها بها.

ـ الليل يبرد في خليج التنين.

وخرج لفوره وأغلق الباب.

شعرت كارا بثقل سترته ودفئها كأنه عانقها. رغبت ان تخلعها عنها ولكنها خشيت ان تجرح شعور رو وتجعلها تستغرب تصرفها هذا.

ـ اين ألعابك يا رو؟

كانت الغرفة أبعد ما تكون عن غرفة طفلة. ليست فيها دمى ولا عرائس ولا حتى أقلام تلوين. أشارت رو الى خزانة كبيرة في الزاوية فذهبت كارا اليها وفتحتها. كانت رفوفها مليئة بالعرائس والكتب

والألعاب الاخرى مرتبة أحسن ترتيب.
- لا يسمح لي أن العب بها او أغيّر نظامها. دا تنزعج من الفوضى وعدم الترتيب.

دا كانت دائماً تنزعج من عدم النظام والترتيب حتى من لوكان عندما كان صغيراً.

أخذت كارا كتاب خرافات لافونتين ونظرت فيه. وجدت في داخل احدى القصص كتابة تقول... الى عزيزي لوكان الذي أخبرني العديد من قصص الجنيات الساحرات.

كانت الكتابة نسوية والحبر باهتاً. وعمر الكتاب اكثر من تسع سنوات.

- هل تقرأين القصص الخرافية يا رو؟

كانت تحاول ان تتمالك غضبها. كانت تقول لنفسها... أنا ايضاً احببت شخصاً آخر قبل لوكان.

هزت رو رأسها وقالت:

- هذا الكتاب لعمّي ينك. لقد سمح لي بقراءته ولكنني لا أفهم جميع القصص. هل تقرأين لي يا كارا قصة منك؟
- ليس الآن.

اعادت كارا الكتاب الى موضعه في الخزانة ووجدت طاحونة صغيرة ضمن الالعاب فتذكرت طاحونة السكّر القديمة والشبح الاسود الذي رأته خلف النافذة المكسورة.

- انا لم أقابل مربيتك دا بعد. انها كالضابط شديدة النظام.
- لديها ولد تزوره دائماً. ويعاملونها هنا كأنها فرد من افراد العائلة. انها تعيش في البيت الكبير منذ خمسين سنة.

كانت رو تتكلم وهي تغالب النعاس. انها تخاف ان تنام وهي وحدها في الغرفة. جلست كارا قربها على السرير ومرّت بيدها فوق شعرها الأحمر. انها كالقطة الصغيرة.

- من هي اللقيطة؟

شعرت كارا أن عليها ان تضمّها بين ذراعيها وتغمرها بمحبتها.

- من قال لك ذلك يا صغيرتي؟

عضت رو على شفتيها وقالت:
ـ آه. قرأت ذلك في كتاب على ما اعتقد. هل ذلك يعني أن والدي لا يريدني وقد تركني؟
لاحظت كارا ان رو قالت والدي ولم تقل والدتي ايضاً. والدها هو المهم في حياتها. هل كانت الصغيرة تعرف حقيقتها ام انها سمعت الخدم يتحدثون بذلك؟ دا هنا منذ خمسين سنة وتعرف بالتأكيد كل ما يجري في البيت الكبير.
ـ أحياناً، الكبار يفعلون اشياء يندمون عليها والبعض يحاول ان يكفّر عن الألم الذى تسبب به. ستكبرين يا رو وستصبحين فتاة شابة وستفهمين عندئذ أكثر . . .
كانت كارا نفسها لا تفهم الحقيقة. كيف تصفح وتغفر لمن تسبب في وجع قلبها؟ كانت مذهولة وقد جرحها ما عرفته اخيراً عن لوكان.
ـ غني لي يا كارا. قال عمّي ينك انك تجيدين الغناء.
وبصوت رقيق ناعم وعلى ضوء القنديل الخافت، غنت كارا أغنية باليونانية تعرفها منذ طفولتها. غنت للطفلة الصغيرة الحلوة التي كانت ثمرة حب جامح وحشي.
فتحت رو عينيها حين انتهاء الاغنية وقالت:
ـ كارا. لا تتركيني وحدي.
ـ لن أتركك حتماً.
مشت كارا الى النافذة الكبيرة وفتحتها. كانت النجوم تلمع في السماء مثل عيون ذهبية. اطفأت كارا القنديل وخلعت ثيابها واندست في الفراش قرب رو. تعانقا سوياً. واطمأنت رو لوجودها قربها فاستسلمت لنوم عميق. بقيت كارا مفتحة العينين داخل الغرفة المضاءة بنور النجوم.
عرفت كارا أنها لو عادت الى غرفتها ستغلق بابها بوجه لوكان. كان من الافضل لها أن تبقى حيث هي. لديها العذر بأن رو تحتاجها. بدأت تفكر بلوكان. كان الألم يخزو قلبها كلما تذكرت وجه الشبه بين لوكان والطفلة رو.
منذ تلك الليلة، ارتفع حاجز بين كارا ولوكان زوجها. لم يفعل هو اي شيء لازالة الحاجز او تحطيمه. كان يغيب عن المنزل ساعات متواصلة في مراقبة

الاعمال في حقول القصب وسهل الكاكاو والمساجات الكبيرة من شجر الموز المحملة بالثمار الناضجة.

وكانت كارا تصحب لوكان بعض الأحيان في دوراته التفقدية. كانت بينهما هدنة حارة باردة. لعبة تبدو كأنها تمثيلية يلعبانها أمام برايد وكلير. تمثيلية تشبه اللغز، تنتهي عندما يغلقان باب جناحهما عليهما وكذلك... الباب المؤدي الى غرفة نوم كارا.

لم تعرف كارا متى تنهار مقاومتها له ومتى لا يعود يكتفي برفقتها ويطالبها بحقوقه الزوجية. نزهاتهما فوق الخيل كانت خطرة ولذيذة. وكذلك نزهاتهما البحرية برفقة رو كانت مثيرة للاعصاب.

اشتدت اواصر الصداقة بين رو وكارا. كانتا تصطادان السمك بالشباك قرب صخور الخليج الشديدة الانزلاق. وكانتا تطبخان صيدهما فوق نار من الاخشاب والاعشاب اليابسة. تنشدان الاغاني وهما تشويان السمك وسحب الدخان السوداء تتصاعد الى السماء الزرقاء. كانتا تلبسان السراويل القصيرة والقمصان القطنية، تقفزان فوق الصخور وتجمعان الأصداف الملونة المرجانية التي تشبه المراوح. كان جوليوس يرافقهما احياناً. يصعد شجرة الكاكاو العالية حافي القدمين ويقطع لهما الكاكاو بسيفه المقوس الحاد فتتدحرج ثمارالكاكاو فوق الرمال. قالت رو انها تشبه رؤوس القراصنة تختبيء تحت اوراق الاشجار العالية خوفاً من سيف جوليوس الجبار.

ضحك جوليوس لقصتها. وأحست كارا بمحبته الصادقة للصغيرة رو. منذ صغرها اخبرها لوكان ان جوليوس هو الكاريبي الخاص به... خادمه المخلص الأمين. وقد تولد بينهما رابط قوي كالرابط الذي يجمع بين بول ويانيس خادمه الأسود، الذي حارب قربه في الثورة وما زال يخدمه باخلاص وتفانٍ.

كتبت كارا الى شقيقها بول من خليج التنين. انتظرت جوابه. ثلاث رسائل بعثت بها وتمنت ان يرد عليها هو او دوميني. تمنت كذلك أن لا يقرأ حزنها بين السطور. الرسائل كلها وصف لحقول قصب السكر والمزارع ليس الا.

وراقبت كارا امرأة زنجية تركض خلف أحد عمال الكاكاو وهي تحمل

بيدها مكنسة تحاول اصابته. انه زوجها. ضحكت كارا لأن هؤلاء الناس يعيشون عيشة راضية غنية بالسعادة مع فقرهم.

كل عامل يملك منزله الخاص وقطعة ارض زراعية صغيرة يزرع فيها الخضار ويربي الدجاج والطيور. يلعب اولاده في الشمس شبه عراة. كانت كارا تحب ان تجلس على شرفة مستودع الكاكاو تتسلى بمراقبة اطفال العمال وهم يلهون. وزوجات العمال رحبن بها بينهن مع مرور الايام وكن يدعونها الى منازلهن الزاهية وطعامهن الغنيّ بالتوابل الحارة.

قالت امرأة عجوز تخاطب جارتها:

- انها زوجة الرئيس لوكان.

كانت النساء تنتظرن أن تحمل كارا الاولاد الى البيت الكبير. كن يتعجبن كثيراً... كيف يمكن لرجل كبير أن يتزوج فتاة نحيلة تشبه الغلمان وجهها فاتن اكثر مما هو جميل...!

التوابل تملأ برائحتها المكان... الجنزبيل، جوزة الطيب ومئات شجرات الكاكاو الضخمة، والكرز البري والكريفون وعريشة العنب الضخمة في البيت الكبير.

وأغاني العمال تملأ سكون الليل ويسمع صداها في أطراف التلة. يجتمع العمال للسهرة حول النار في باحة سكنهم يرددون الأغاني البدائية الغريبة مع قوع بطيء للطبول بصوت خفيض يشبه ضربات القلب الرتيبة. كانت هذه الاغاني تجد صداها في قلب اليونانية النحيلة البعيدة عن منزل أهلها فتملأها حزناً.

كانت كارا تتمشى وحدها عند ما تكون رو في الدرس مع نلز. تشعر اليوم بعصبية وتشنج.

لقد اشتاقت الى أهلها... اشتاقت الى بول ودوميني. وابتعدت كثيراً داخل الغابة فوق السهل حيث ينمو القصب الفارع الحاد والعرائش الذهبية والشجيرات الخضراء. كانت كارا تعرف ان في الغابة حيّات تبدو ساكنة كالغصن ولكنها تلسع بسرعة. كانت تلبس قبعة قش فوق رأسها وتسلي نفسها بمراقبة الغابة. لمحت طائراً برونزياً أخضر له ذيل طويل صرخ فزعاً حين مرت قربه وطار. وشاهدت ملك الغابة يختبىء خلف شجرة ويجر خلفه ذيلاً قرمزياً طويلاً.

قطعت كارا الغابة مشياً ووصلت الى سهل الكاكاو. توقفت قليلاً وهي تشعر بحرارة شديدة. ووجدت قرب جذع شجرة كبيرة ازهاراً سمّاها لوكان «لا تلمسني». انحنت كارا لتلمس واحدة منها فأدهشها ان ترى كيف اغلقت وريقاتها على نفسها برعشة خفيفة. تذكرت نظرات لوكان البارحة حين قطف لها بعضاً منها وعلّقها في قبة بلوزتها ليذكّرها انه لن يحتمل زوجة تقول له «لا تلمسني».

اسرعت خارجة من الغابة. ووجدت نفسها قرب المضبة التي تقف فوقها طاحونة السكر القديمة... فارغة مسكونة بالاشباح، لا يزال جرسها معلقاً من فتحة صغيرة في البرج.

كان زيز الحصاد يصرخ عالياً وسط هدوء الظهيرة. وشعرت كارا بقوة خفية تشدها الى الطاحونة. تسلقت المضبة ووصلت الى بابها... دفعته قليلاً وسمعت صريره وهو يفتح. المكان موحش وقد تدلت خيوط العنكبوت من جدرانه وزواياه. كان من الصعب عليها ان تتخيل المصنع كما كان في الماضي، حيث كانت ألسنة اللهب ترتفع تحت المراجل. وتصورت العمال وجلبة اصواتهم والنار تحت القدر الكبير تشتعل حيث يغلي السكر. تذكرت كيف انقلب احد المراجل واحدث حريقاً في المصنع ذهبت ضحيته لويلا سافدج. اختنقت في البرج الصغير حيث الجرس. كانت تنتظر عشيقها كالعادة.

مشت كارا نحو السلم الحديدي الكسيح. كان يرتفع بشكل دائري الى اعلى حيث وصلت ألسنة النار وتركت خلفها السخام الاسود والدخان الذي تسبّب في موت لويلا اختناقاً.

كان حبيبها الناظر الشاب خارجاً الى عمله في الحقول عندما رأى الناس يتدفقون من المصنع... ركض بحصانه مسرعاً خائفاً عبر حقول القصب وحاول ان يتسلق السلالم الى لويلا ليخلصها. منعه عمال المصنع...

تخيلته كارا. وجهه يكسوه السخام الاسود وهو يعارك العمال ليخلص حبيبته قبل ان تختنق. كانت لويلا تشد حبل الجرس طلباً للنجدة.

فجأة تحرك الجرس القديم وسمعت كارا صوته. هبط قلبها الى رجليها خوفاً وغمرتها البرودة. تراجعت مذعورة عن السلالم ووصلت الى الباب الخارجي. فتحته بقوة وركضت هابطة التلة كأن الشيطان يتبعها بسوطه.

ركضت وسط القصب وقلبها يخفق بجنون. وسمعت خلفها حوافر فرس تقترب منها اكثر فأكثر. كانت حوافر حقيقية تسمعها بوضوح. ونظرت خلفها لتطلب من راكب الفرس ان يكف عن ملاحقتها. وفيما يشبه الحلم المزعج... كان الحصان الكبير الذهبي يركض فوقها وشعره الأسود الكثيف يخفي خلفه رأس راكبه. تراجع الحصان على رجليه الخلفيتين ورفع رجليه الاماميتين ليسحقها...

وقعت ارضاً. الالم يكاد يقتلها في ذراعها وكتفها وقد امتلأت عيناها بالغبار وغابت عن الوجود.

استفاقت كارا لتجد نفسها في غرفة نومها في البيت الكبير. وحدقت في الاثاث حولها لا بد أنها أحدثت صوتاً دون أن تدري لأن كلير حضرت على الفور الى جانب سريرها وانحنت فوقها تقول:

ـ كارا. لقد خفنا جميعاً عليك. كيف تشعرين الآن يا عزيزتي؟ هل تؤلمك كتفك كثيراً؟

ـ كتفي؟

استغربت كارا. كانت ما تزال فاقدة الوعي. نظرت حولها. ورأت ذراعها فوق وسادة زرقاء.

قالت كلير:

ـ وقعت وجرحت نفسك.

ساعدتها لتشرب عصير الليمون المثلج. ثم اكملت:

- وجدك لوكان اسفل الهضبة غائبة عن الوعي، قرب طاحونة السكر القديمة. وحملك على جواده الى البيت. ولحسن حظك كان الدكتور فابر يسعف أحد العمال، حضر الى هنا على الفور وقال ان ما بك كدمات وخدوش فقط ولا وجود للكسور. لقد أغمي عليك من شدة الحرارة.

قالت كارا:

ـ كان أحدهم يتبعني على جواده. وكان الحصان كبيراً ذهبياً وله راس أسود هائل.

حدقت كلير بها كأنها تظن ان الرعب وشدة الحرارة قد أثرا على عقلها... قالت كارا تحاول أن تجلس في الفراش:

ـ انني اقول الحقيقة.

ساعدتها كلير ورصّت خلفها الوسائد. كانت يداها باردتين فوق جسد كارا الدافىء. نظرت كارا الى ثوب النوم الشفاف الذي ترتديه. وتساءلت... من استبدل لها ثيابها؟

قالت كلير:

ـ أصدقك. ولكن الطبيب يريدك ان تبقي في الفراش ليوم او اكثر. انت مكدَّمة. لقد وقعت قبعتك عن رأسك وتركته معرضاً لحرارة الشمس...

فقالت كارا:

ـ ليس لدي حمّى في الدماغ. انك لا تصدقين ما قلته بشأن الحصان؟

قالت كلير معترفة:

ـ كان لدينا في السابق فرس ذو عرف اسود من أصل عربي. كان ذلك منذ زمن بعيد. وكان يملكه برايد. تخلصنا منه بعد الحادثة. كان اسمه ساتان وتخلصنا منه لأنه كان ذكرى أليمة لبرايد يذكّره بعجزه عن الركوب.

همست كارا:

ـ ساتان... الشيطان. هل كان لونه ذهبياً ورأسه ضخماً اسود الشعر؟

ـ نعم...

نظرت كلير الى الباب الذي دخل منه لوكان.

ـ تعال يا لوكان وهدّىء زوجتك الصغيرة المضحكة. انها تصر أن ساتان ركض خلفها ورماها أرضاً.

كانت كلير تضحك أما لوكان فقد عبس وقال:

ـ هل تتركينا يا كلير وحدنا؟

هزت كلير رأسها ايجاباً وتركت الجناح. اقترب لوكان من سرير زوجته ونظر اليها غاضباً وقال:

ـ لن تقربي ذلك المكان مرة ثانية. انه خربة مظلمة ولا نفع منه. يجب ان يحرق كلّه!

ـ لقد ركض أحدهم ورائي فوق حصانه.

كان ينظر اليها مستغرباً وأكملت:

ـ انا لا اتخيل ذلك. انها الحقيقة. لم أصب بضربة شمس على رأسي!

ـ هل دخلت الى المصنع؟

هزت رأسها ايجاباً.

ـ كنت فضولية. أردت ان ارى داخل المصنع. سمعت صوت جرس البرج. فخفت وركضت خارجة...
ـ ثم زلّت قدمك بغصن عريشة او شجيرة صغيرة ووقعت الى أسفل الهضبة... كارا، بدأت اظن انني ارتكبت خطأ كبيراً حين جئت بك الى خليج التنين...
سألته اخيراً السؤال الذي قضّ مضجعها وحرمها السعادة:
ـ هل تتمنى أن تكون كابريس هنا بدلاً مني؟ لقد ذهبت الى باريس لرؤيتها. كنت ترغب أن تصبح زوجتك.
ـ نعم. هذا صحيح. كنت سأسأل كابريس ان تتزوجني.
اغلقت كارا عينيها وتمنت أن تغيب عن الوعي مرة ثانية. كان الألم قد اشتد عليها والغضب أعماها. قالت بارهاق:
ـ لماذا لم تسألها؟ ألم تحتمل أن تسألها لتكون رقم ثلاثة في حياتك؟
ـ كارا...
مشى اليها ليلمسها. وشعرت كأنه طعن قلبها برمح.
ـ ظننت ان بامكان كابريس ان تشاركني حياتي في خليج التنين، ولكن حين التقيتها في باريس تأكدت أن ذلك غير ممكن. لقد عرفتها منذ عدة سنوات. هي جميلة ونشيطة وكلها حيوية ولا سبيل الى سؤالها. ثم التقيتك في فورت فرناند...
ـ وكان من السهل عليك ان تسألني أن اصبح عروساً لآل سافدج. اتركني يا لوكان. انني تعبة وأود أن انام.
اغلقت كارا عينيها. وبعد قليل سمعته يخرج ويغلق الباب عليها.
لقد تركها لوكان ولم يحاول أن يشرح لها الوضع بوضوح اكثر. آلمها بصراحته. وشعرت باختناق. انها بائسة مهجورة وغير مرغوب فيها. وملأت الدموع مآقيها. الدموع سهلة لمن يشعر بالألم الشديد في كل ذرة من جسمه.
تمنّت لو أنها لم تهرب من انديلوس. لو بقيت تحت حماية شقيقها مستقرة في منزله. انها هنا في خليج التنين غريبة مقهورة وحيدة. والشخص الوحيد الذي كان بامكانه ان يغمرها بالأمان والاستقرار اعترف بأنها ليست الزوجة التي كان يتمناها. انها الخيار الثاني بعد كابريس.

فتشت كارا عن محرمتها تحت الوسادة. وأجفلت من وجع كتفها عندما تحركت. هناك شخص في خليج التنين يكرهها. انه شخص حقيقي وليس شبحاً يطاردها في الخيال. كان يجلس فوق الحصان الذهبي ذي الرأس الاسود الشيطاني... ساتان.

٨ - رجل في الظلام

سرّت كارا لتمضية يوم في الفراش. وحضرت رو لزيارتها فجلست على حافة السرير ذي العواميد الاربعة. كانت تسأل بفضول عن الحادثة.
- لقد زلّت قدمي ووقعت.
قالت كارا وهي واثقة ان عليها ان تخفي الحقيقة عن هذه الفتاة الذكية التي تتحلى بمخيلة واسعة. لقد صدّق الجميع هذه الكذبة.
- كنت دائماً واثقة من مشيتي كأنني معزاة يونانية.
سألتها رو مواسية:
- هل تشعرين بالألم؟
الكدمات في ذراها كانت بلون قوس قزح هذا الصباح وقد امتدت الى اعلى الذراع والى الساعد. حين تحركت ذراعها كانت روحها تكاد تخرج من حنجرتها من شدة الألم. وأحياناً تصرخ دون شعور. يبدو ان احدهم يخيفها ليجعلها ترحل عن خليج التنين. ولكنها لن تذكر هذه التصورات لأحد.
- سأستأذن برايد في تزيين غرفتك بألوان زاهية وتغيير البساط والستائر كذلك. سنصنع لسريرك فراشاً ووسائد برتقالية. هل يعجبك اللون البرتقالي؟
اجابتها رو بحماس يشوبه الشك من التنفيذ:
- نعم.
قالت كارا:
- سنتخلص ايضاً من بعض الاثاث الضخم وربما نجد في هذا البيت

الكبير اثاثاً يناسب حجمك.
ـ أكره الخزانة. دائماً اتخيل احداً في داخلها. ولكن دا تقول ان لا شيء يتغير في خليج التنين حرصاً على التقاليد.
ـ لا بدّ للأشياء أن تتغير يا رو. الاشياء التي كانت صالحة منذ خمسين سنة اصبحت الآن قديمة وثقيلة.
قالت رو ناصحة:
ـ يجب عليك ان تستأذني دا. عمي برايد أناط بها ادارة شؤون المنزل، وهي لا تحب ان يتغير اي شيء هنا.
قالت كارا بغضب:
ـ اظن سعادتك يا رو أهم من الاثاث.
ـ ان ذلك يختلف... اذا ما كنت حقاً من آل سافدج.
قالت رو وهي تنظر الى كارا من زاوية عينيها الخضراوين. انها ليست النظرة العابثة المعتادة بل هي نظرة تساؤل عن الحقيقة. عضت كارا على شفتيها. لا يمكنها أن تجيب الفتاة وتقول لها... انك سافدج حقيقية ودماؤك من دمائهم.
ـ كلتانا متساويتان يا رو. لقد أختارنا آل سافدج لنصبح جزءاً من عائلتهم.
سألتها رو:
ـ وهل أنت سعيدة؟
أجابتها كارا:
ـ طبعاً.
كانتا تحملان سراً مشتركاً بينهما. كلتاهما ملك لوكان ولكنه ليس ملكاً لأي منهما. عليهما القبول به كما هو.
فتح باب الغرفة ودخلت دا تحمل صينية عليها الفطور. وشعرت كارا بتشنج وقلق.
سألت رو وهي تركع على الفراش بفرح:
ـ اوه. الفطور في الفراش. هل استطيع أن اتناول فطوري هنا؟
قالت كارا وهي تنظر الى دا:
ـ نعم ياصغيرتي.

كانت دا ترى كارا طفلة تكبر رو بقليل ولا يمكنها ان تتحمل أية مسؤولية. كانت منتصبة القامة وآمرة بالرغم من تقدمها في السن. لونها اسمر كلون العاج القديم. وعيناها السوداوان نفاذتان تحت غطاء رأسها الكاريبي. تعرف كيف تستغلّ ضعف الناس من حولها وتتمتع بقوة غامضة كأنها تتعاطى طقوس الشعوذة.

سألت بأدب وهي تضع صينية الطعام في حضن كارا فوق الفراش وتأمر رو أن لا تتحرك:

- كيف حال ذراعك يا سيدتي؟

- انها تؤلمني ولكنني آمل أن اشفى قريباً. ما ألذّ هذا الفطور يا دا.

تذمّرت رو:

- يوجد فنجان واحد فقط!

- اصمتي يا آنسة رو. انزلي وتناولي فطورك في غرفة الطعام مثل أي فتاة حسنة السلوك.

قالت كارا مبتسمة:

- دعيها تبقَ هنا. صموئيل سيحملٍ لها فنجاناً آخر وأنا لن آكل هذا الطعام كله وحدي.

كان الفطور شطائر بالزبدة مع البيض واللحم وقطعاً من الاناناس والخبز المحمص والقهوة.

- انت صاحبة الكلمة هنا يا سيدتي.

قالت دا ذلك ونظرت الى ساعتها المتدلية من وسطها.

- اخبرني السيد لوكان ان أعلمك بأن الدكتور فابر سيمر في الساعة العاشرة صباحاً يا سيدتي. عندما تنتهين من فطورك سأرسل احدى الخادمات لمساعدتك في تحضير نفسك.

- شكراً يا دا ستبقى ذراعي عاجزة عن الحركة ليوم آخر او أكثر.

قالت رو وقد ملأ الشكر وجهها:

- اظن ان ينك غاضب جداً وسيحرق الطاحونة... لماذا؟ اعتقد أن الاشباح التي تسكن الطاحونة قد اوقعتك يا كارا.

نظرت كارا الى دا. كان وجهها دون اي تعبير وقالت:

- ان لك مخيلة خصبة يا آنسة رو. الجميع يعرفون أن الأشباح لا توقع

الناس.

قالت كارا:

- هذا صحيح. ثم فكرت في نفسها... كما ان الأشباح لا تجعل الفرس يدهسها ويكاد يقتلها.

مشت دا الى النوافذ وفتحت جميع ستائرها. كانت نظرة كبرياء وشموخ ترتسم على وجهها وهي تحدق في اثاث الغرفة. وقالت:

- هذا الاثاث صنع هنا في خليج التنين منذ اكثر من مائة سنة. وسرير الزواج هذا صنع لهذه الغرفة.

سرير الزواج... تعبير قديم يتضمن القوة والطاعة. قوة الزوج وطاعة الزوجة. أحست كارا ان دا تراقبها وهي تأكل فطورها. وجف قلبها من نظرة اللوم في عيني دا لأن الوسادة الاخرى في سرير الزواج كانت نظيفة ككل ليلة لا تحمل أي أثر لرأس لوكان فوقها.

خرجت دا وأغلقت الباب خلفها:

- سأطلب من صموئيل ان يجلب فنجاناً آخر.

قالت رو وهي تأكل الخبز المحمص:

- تظن أنها تملك خليج التنين! شيء لذيذ أن نأكل هنا. أتمنى أن تبقي في الفراش اسبوعاً كاملاً.

قالت كارا:

- ولكن بدون مرض وخوف... انتبهي يا آنسة الى العصير كي لا ينسكب. لا اريده فوق شراشف السرير.

ضحكت رو:

- فوق سرير زواجك.

واحضر صموئيل الفنجان. شربت رو الحليب مع القهوة. سألتها كارا:

- هل يعمل ابن دا في أملاك آل سافدج؟

هزت رو رأسها نفياً وقالت:

- انه غريب الاطوار ويعيش وحده في منزل ذي ركائز خشبية قرب المستنقع. انت لا تعرفين المستنقع بعد. انه مكان كثير الغموض. أخبرني صموئيل انه مشعوذ يعيش على سحره. انه يعمل تعاويذ للناس ويصنع

دواء للمحبة.

ضحكت كارا:

- يا للخرافة.

كانت تعرف ان الناس في هذه الجزر تؤمن بالطقوس وتمارسها. دا نفسها تشبه ... ساحرة.

انتهت رومن فطورها. وطلبت اليها كارا ان تغسل وجهها ودعتها ايضاً لتناول طعام الغذاء في رفقتها. قبّلتها رومن وجنتيها وهي تقول:

- انت لطيفة وحنونة يا كارا. عمتي كلير تختلف عنك. انها باردة كالتمثال.

سألتها كارا بحزم:

- ممن سمعت هذه الجملة؟

- اوه. من نلز. لقد قالها لها أمامي في غرفة عملها... أنت باردة كالتماثيل التي تنحتينها من الرخام... هل تعتقدين ان نلز يحبها؟

ضحكت كارا:

- انت فتاة مبكرة النضوج. كلير جميلة جداً وذات شعور مرهف كنحّاتة.

قالت رو بسرعة:

- انا لا أرغب أن اكون شديدة الحساسية وعندما أكبر سأتزوج من رجل يشبه ينك وأنجب عشرة اولاد.

ضحكت كارا:

- عشرة اولاد فقط ياصغيرتي؟

قالت رو:

- انت تضحكين علي. ولا أهتم لضحكك. انا لا أحب ان ألعب وحدي وأتمنى لو تسرعين وتنجبين لنا طفلاً.

وما ان انتهت رومن جملتها حتى حضر لوكان. لا بد أنه سمع كلماتها. وقف بالباب منفرج الرجلين غاضباً. صرخت رو وركضت اليه لتقبّله.

- ينك.

- وجهك كله أناناس وفتات خبز. اذهبي واغسليه واخرجي الى عمتك كلير لتقولي لها صباح الخير. انها في مركز عملها في الاستوديو الصغير.

- هل يجب علي ذلك؟

وأخذت خصلة من شعره فصنعت بها علامة سؤال فوق جبينه وقالت:
- كم انت جميل يا ينك.
قال عابساً:
- وانت عفريتة. من المؤكد انه يتوجب عليك ان تذهبي وتسلّمي على عمتك فوراً.
- حاضر. هل أقّبلك مثل سكان الاسكيمو؟
ومرّت بأنفها فوق انفه. اخرجها من الغرفة قسراً وعاد الى وقفته السابقة.
- انها شيطانة.
نظرت اليه كارا وهي تتساءل... هل هي الشيطانة ام والدتها؟
- هل تناولت فطورك يا لوكان؟
- فنجان من القهوة وبعض الخبز المحروق في منزل الناظر.
كان لا يزال في لباس الركوب.
- دخلت بعض الجرذان حقول القصب وعلينا اخراجها قبل أن تتلف المحصول بأكمله. كيف ذراعك؟ يبدو أن رو صبغتها لك بفرشاة ألوانها.
- انها تؤلمني.
اقترب منها فجفّ حلقها. ارادت أن ينحني فوقها ... ولكنها تذكرت حديثها معه في اليوم السابق وكيف اعترف لها بنيّته السابقة في الزواج من كابريس. لماذا ترغب في... ؟ جلس لوكان على حافة سريرها. رائحته كرائحة الحقول النضرة. أخذ تفاحة من الصينية. كانت عيناه الخضراوان تتغيران حسب مزاجه.
قضم شيئاً من التفاحة ثم ناولها اياها لتشاركه في أكلها. قضمت هي ايضاً جزءاً صغيراً وتمتمت وقد احمرت وجنتاها خجلاً:
- حواء هي التي تغوي آدم عادة.
- هل أنت مستعدة للتجربة؟
كان لوكان ينظر الى رقبتها الرقيقة، وكان قربه منها يعذبها لأنها تتذكر أنه لا يحبها. انه تزوجها واحضرها معه كي تنجب له ولداً وحسب. مال نحوها. ورأت ضحكة سرور في عينيه وهي تحاول مقاومته.
قالت بعصبية:

ـ كلّني كدمات ولا أحتمل أن يلمسني احد.

ـ آسف يا عزيزتي.

وضع بقايا التفاحة في صينية الطعام.

ـ اجريت تحّريات عن الفرس العربي الذي رأيته بالامس. وأكد لي جوش الناظر وبقية العمال انهم لم يروا واحداً مثله على الجزيرة. الفرس العربي نادر هنا. وفرس له راس أسود أشد ندرة.

ـ من اين لي أن اعرف ان حصان برايد كان له رأس اسود؟

الحصان الذي لحق بي كان ذهبياً ورأسه اسود. لم اتبين راكبه لأنه كان يختفي وراء رأس الحصان الكبير.

راقب لوكان وجهها العصبي الصغير وهي تتكلم وقال:

ـ وجدتك على الأرض في نهاية الهضبة يا كارا. كانت قبعتك قد طارت عن رأسك بعد وقوعك والشمس تضربك بحرارتها.

ـ وقد تشوش عقلي وتخيلت . . كل ذلك.

قالت كارا وهي تشير الى كدماتها فوق كتفها وذراعها.

ـ يا للسخرية. يوجد شخص هنا يعتقد انك تحبني وتهتم بي . . .

ـ كارا. . .

ـ نعم يا لوكان. هذا الشخص يريد ان يجرحك وذلك بأن يؤذي عروسك التي تحب.

وضحكت ساخرة. انتصب واقفاً ونظر اليها بوحشية. امرها:

ـ كفى يا كارا.

ثم انحنى فوقها ويده تمسك بالعامود خلف كتفها المرضوضة، وعيناه تلمعان. كان يرغب في اسكات ضحكاتها المريرة.

بقيت مغمضة العينين لدقائق بعد ان غادر الغرفة.

حضر الطبيب في موعده وبعد ذلك تناولت غداءها مع رو في غرفتها.
كانت ترتاح في فراشها وقت القيلولة تسمع من بعيد وقع الطابات في ارض الملعب. انهما كلير ونلز. هل كان نلز يحب هذه الفتاة الجميلة الباردة كالرخام؟ قوة الجاذبية بين الجنسين غريبة ومفاجئة. هذه القوة السحرية تجذب شخصاً الى آخر بالرغم منه.
وسمعت صرخة قوية صادرة من ملعب التنس. عرفت بعد ذلك ان طابة اصابت عين نلز وقد وضع فوقها ضمادة فبدا كأنه قرصان.
قالت كلير وهي تمشي بعصبية في غرفة كارا التي كان ينيرها قنديل كبير:
- لا اعرف كيف حصل ذلك.
كانت تنفض رماد سيكارتها بعصبية.
- اولاً اصابتني طابة طائشة والآن اعطيت نلز عيناً سوداء. احياناً اصدق القصص الغريبة عن خليج التنين. احس احياناً ان شخصاً حقوداً موجود بيننا. اغرب الأشياء تحدث هنا. انظري الى برايد!
- هل تعتقدين ان برايد يلوم لوكان على ما حصل له؟
- عزيزتي، انهما توأمان. كلاهما من طينة واحدة. الكراهية كالحب عاطفة قوية جداً... ولكن اخبريني كيف يمكن لفتاة بريئة مثلك ان تقع في حب لوكان؟
قالت كارا:
- لقد حصل. هل فاجأتكم جميعاً؟
قالت كلير بصراحة:
- نعم. انه شيطان يا كارا. له مغامرات عاطفية عديدة.
- ولا تظنين انني قادرة على كبح جماحه يا كلير؟
- اتمنى ذلك يا عزيزتي. انني اجدك صادقة وذات قلب حنون. يا الهي... ان اخي جريء وسيء السمعة. كان عليه ان يتركك وشأنك لتلهي ببناء قلاع الرمل مدة اطول. انت طفلة اكبر بقليل من رو.
- انني في الحادية والعشرين من عمري، وانا يونانية وننضج بسرعة هنالك. نحن نؤمن ان وظيفة المرأة الأولى هي ان تحب رجلاً وتنجب له الأولاد.
- الحب يخيفني.

قالت كلير وهي تمشي بعصبية في الغرفة. رمت عقب سيكارتها من النافذة ووقفت مسمرة امام الستارة. كانت ترتدي بلوزة حمراء فوق سروال ضيق اسود.

ـ حب الرجل للمرأة شيء بدائي وفيه امتلاك. انا من آل سافدج ولا اؤمن بالحب الوحشي. انه يثير الغضب في دمائي.

ضحكت كلير وهي تتكلم. احست كارا ان لضحكاتها معنى مبطناً.
دارت كلير وحدقت في الغرفة الكبيرة وفي اثاثها.

ـ هذه الغرفة كبيرة جداً. اعتقد انك تشعرين بالضياع لو لم يشاركك فيها لوكان... انك تسمعين صوت البحر بوضوح من هذا الجناح.

ـ وهل تحبين البحر؟

ـ ليس بشكل جنوني. العاطفة احساس مرعب يجب ان نبعده عن حياتنا. البحر يذكرني بالحب وهمساته وقساوته. لدي عملي ونحتي. وكل ما عداه يأتي في الدرجة الثانية. انا اصنع الناس من الرخام القاسي على الشكل الذي ارغب.

ـ تماثيل باردة لا حياة فيها ولا عاطفة ولا قلوب مرحة واخرى حزينة. انت يا كلير لك نوع من الناس يرضيك وانا لي نوع يناسبني.

ـ ناسك سيؤلمونك يا صغيرتي اليونانية.

مشت كلير الى الباب وفتحته:

ـ مساء الخير واتمنى لك احلاماً سعيدة، اذا كان ذلك ممكناً في هذا المنزل.

نامت كارا وهي تفكر بحديثها مع كلير. لقد تنكرت لتقاليد آل سافدج ومعتقداتهم ولكن جذورها كانت متداخلة بتاريخ المنزل مثل اخويها. تأثرت مثلهم بأجدادها الذين عاشوا دور الثوار بما فيه من حب وكراهية. دمها من دمائهم. وضربات قلبها تخفق بقوة كضربات قلب لوكان وبرايد.

سمعت كارا لوكان يدخل غرفته المجاورة. اطفأت نور القنديل بسرعة وتظاهرت بالنوم. فتح لوكان باب الغرفة ونادى قائلاً:

ـ كارا؟

لم تتحرك ولكنها احسته بكل حواسها وهو يقف طويلاً في باب الغرفة.

قال اخيراً:

ـ تصبحين على خير.

وعرفت بعد ان غادر الغرفة انها لم تخدعه. اطلقت فوق وسادتها تنهيدة مخنوقة وتعجبت من نفسها... لماذا تصرفت على هذا النحو؟ لوكان ليس رجلاً صبوراً. وتصرفاتها ستبعده عنها الى الأبد... هل هذه رغبتها؟ الا تكفي آلاف الأميال التي تفصل خليج التنين عن الجزيرة اليونانية انديلوس؟

لم تحتمل كارا الفراش اكثر. نهضت في اليوم التالي ينتابها شعور جميل بأنها استعادت صحتها. لا تزال ذراعها تؤلمها ولكن الألم قد خف كثيراً.

تناولت غداءها على الشرفة والمنزل يلفه الهدوء وقت القيلولة. نلز وكلير اصطحبا رو في نزهة بالسيارة. ولوكان مع جوش الناظر في حقول القصب. نزلت كارا من غرفتها الى الشرفات تتفرج على صور آل سافدج المعلقة على الجدران. انها وحدها في المنزل مع برايد. كان برايد قد دخل مكتبه بعد الغداء.

وقفت كارا امام صورة كونال وديارميد... الشقيقين اللذين بدآ الزراعة وبنيا البيت الكبير. كان كونال ماكراً صبوراً وشقيقه قاسياً عنيد الملامح. ديارميد لم يتزوج. انه صارم مثل برايد وفي عينيه نظرة عابسة. في يد ديارميد اليمنى خاتم ثمين يلبسه برايد الآن لكونه كبير العائلة. مرت ببقية الصور. اثارت فضولها صور نساء آل سافدج. بعضهن كاريبيات جميلات وربما اميرات. بعضهن فتيات بسيطات ربما تزوجن من اجل البائنة او من اجل الحب الذي ينمو بحرارة في القلوب الهادئة.

مشت كارا في الممر الطويل وتسلقت الدرجات لتتفرج على بقية الصور العائلية. وبدأ الظلام يزحف الى الشرفات داخل البيت الكبير. وصلت كارا الى صورة السيدة الذهبية. كان الاطار في غياب نور النهار يبدو فارغاً من اي صورة. كأن لويلا تسللت وهي ترفل بثوبها الأصفر الذهبي لتلتقي حبيبها الشاب قبل الغروب.

ارتعدت كارا ورأت نفسها تركض الى نهاية الدرج، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام برايد في كرسيه المتحرك في القاعة. قال لها برايد بصوته الأجش:

ـ يبدو عليك الحزن قليلاً. هل خفت من اي شيء؟

ـ المنزل كبير ومليء بالأصوات والظلال.
ـ هذه الساعة قبل الغروب، ساعة غموض. ادعوها الساعة الزرقاء.
مع الغسق اتمتع بشراب خفيف في خلوتي... عرين التنين اليس كذلك؟
ـ لن اؤخرك يا سيدي...
ـ يمكنك ان تشاركيني كأساً تعيد اللون الى وجنتيك.

حرّك برايد كرسيه المتحرك بيد خبيرة وكرج فوق الخشب المصقول الى باب المكتبة. فتح الباب بواسطة دواليب الكرسي. ودخل. تبعته كارا وقد انتابها شعور هو مزيج من القلق والسرور.

القلق من انفرادها به والسرور لأنه دعاها الى قدسه المقدس... مكان خلوته الانفرادية.

غرفة من الخشب الأسود الثمين لون اثاثها بلون الياقوت الأحمر. الجدران مغطاة بخشب الورد ومزينة بلوحات زيتية عديدة تمثل مناظر طبيعية للرسام الفرنسي الشهير اوتريللو. عرفتها كارا فوراً. كان لديها صديق هو رسام انكليزي علمها كيف تفرق بين اعمال فنان اصيل وغيره من الفنانين المقلدين.

الرسوم الزيتية بديعة وكذلك الخزانة الكبيرة المطعمة بالنحاس والأصداف. وهناك مزهرية قديمة زرقاء فوق المكتب. ارادت كارا ان تلمسها بيديها اليونانيتين اللتين تعشقان الجمال.

سألها برايد:
ـ هل اعجبتك خلوتي؟

فهزت رأسها ايجاباً. اشار اليها بيده اللينة القوية التي يلمع فيها الخاتم الذهبي الكبير ان تجلس فوق مقعد كبير فامتثلت لأوامره. حرك برايد كرسيه الى طاولة فوقها اباريق اثرية تلمع. وصب لها كأساً من الشراب. وضعه لها على الطاولة الصغيرة المصنوعة من خشب الورد مع بعض البسكويت الحلو. كان ينظر اليها نظرة يمتزج فيها الذكاء بالحزن. وعلى ضوء خافت الى يساره رأت شيئاً مأساوياً في شكله حرك نفسها وشعرت نحوه بشفقة قوية. كم هي محظوظة لأنها تستطيع ان تحرك اطرافها وتدوس الأرض الطيبة برجليها.
ـ هل اعجبك الشراب؟

ضحكت وقالت:

ـ انه يشبه طعم العسل اليوناني مع قليل من التوابل.

ـ هل افتقدت الجزر اليونانية؟ وهل ما زال خليج التنين غريباً عليك؟

ـ نعم. نعم ولكنه مثير. تاريخ العائلة مليء ومتنوع يا سيدي. كنت هذا المساء اشاهد واعجب بصور اجدادك.

ـ كل زوجة من آل سافدج لها صورتها الزيتية. سيأتي دورك يا كارا. ربما بعد سنة من الآن بعد ان تنجبي طفلك الأول. هذه هي العادة.

ارتبكت كارا. نظرت بعيداً عنه. كان برايد يراقبها بتمعن. يحدق في وجهها وجسمها النحيل. يرى خجلها وكبرياءها وشعرها الأسود المنسدل.

ـ صورتك الزيتية ستكون آسرة ومثيرة. اراك تنظرين الى علبة الكهرمان. ناوليني اياها لأعطيك هدية زواجك.

ـ سيدي! انا لا انتظر منك هدية...

ـ طبعاً تنتظرين. تأخرت في انتقاء هدية لك تعجبك. انني اعلم الآن انك تهتمين بجوهر الأمور لا بظواهرها. اعطيني العلبة ارجوك.

ناولته كارا العلبة الصفراء. فأدار المفتاح الصغير في قفلها وفتحها. رفع عقداً كان في داخل العلبة.

ـ انه من العنبر القديم مزين بورود ذهبية. اركعي قربي لأشبكه حول عنقك.

ركعت كارا قرب كرسيه في خجل. وأحست لمسات يديه حول عنقها حيث شبكه جيداً. ثم جلست القرفصاء ليرى كيف يبدو العقد.

ـ ان لك جلداً بلون الكهرمان. انه يناسبك كثيراً.

ـ انها هدية جميلة يا سيدي. اشكرك جزيل الشكر.

ـ انا مسرور لأن هديتي اعجبتك.

وأمسك بكرسيه.

ـ تسرني زيارتك الى خلوتي مرة ثانية ومشاركتي الحديث.

قالت صادقة:

ـ كم اريد ان اكون صديقة لك.

ـ آه. نعم سنكون صديقين.

كانت ابتسامة باهتة ترتسم على شفتيه. ما الذي يستطيع رجل جبار كسيح ان يقدمه لها او لغيرها غير الصداقة؟

تركته وحده بصحبة الأثريات النادرة التي يملكها. النور يضيء رأسه وكتفيه. اما بقية جسده فكان في الظلام. وسيظل الى الأبد.

٩ - العاصفة

لم تجد كارا الشجاعة الكافية لتدخل خلوة برايد في مكتبه. ربما ترددت بعد ان رمقها لوكان بنظرة كريهة وقت العشاء. عرف لوكان ان عقد الكهرمان كان هدية من برايد ولم يسره ذلك.

وقفت فوق سلالم التنين. ولامست العقد في عنقها. كانت لا تزال تلبسه لأنها لم تستطع ان تفكه ولم تجرؤ ان تنادي لوكان الى غرفتها ليساعدها في فكه. ستلامس اصابعه جلدها وجسمها... ولم تكمل الصورة في خيالها بل ركضت فوراً الى الشاطىء.

كان هذا اليوم عصيباً شديد الحرارة والرطوبة. الجو مثير للغاية ورائحة نباتات البحر قوية. عصفور كبير وحيد طار فوقها واختفى. نظرت الى السماء. لم تعرف ما اذا كانت ستمطر ام ان هناك عاصفة ستهب قريباً.

ومشت فوق الرمال الى منزل مرجاني صغير قرب الشاطىء امامه شرفة مسطحة. الغرفة الداخلية الطويلة مفروشة بالقصب. وفي الغرفة خزانة فيها اغذية معلبة وهناك رف من الكتب وبعض الوقود للمدفأ والقناديل. احضرت كارا معها بعض الوسائد ووضعتها فوق الاريكة المصنوعة من الخشب اللدن لتصبح مريحة. كانت ترتاح هنا في المساء، بعد السباحة، مدة نصف ساعة او اكثر.

تملكتها رغبة شديدة في السباحة. تخلصت من ثيابها ولبست ثياب البحر ثم نزلت في مياه الخليج المنعزل وهي تركض. الموج عال ولكنها سعيدة بالمياه تلاطم جسمها بمحبة.

في الماء وهي تسبح كان شعورها بالحرية لا يضاهيه شعور. سبحت

بعيداً ولم تنتبه الى العاصفة التي اجتاحت البحر تدريجياً. كانت تسبح وسط معادن ذائبة من القصدير وغيره تحيط بالصخور المرجانية في الخليج كأنها تحرسه. رائحةَ النباتات البحرية في انفها وطعم الملح على شفتيها. اشتد زعيق طيور البحر من حولها وهي تتغذى بأن تنقض على سمكة وتنتشلها من البحر بمنقارها حيث تتخاطفها بقية الطيور وزعيقها يتعالى في كل مكان.

استدارت كارا لتسبح عائدة الى البيت. ورأت سمكة كبيرة تزحف من فجوة في الصخور المرجانية وقد ظهر فكها مهدداً فوق الماء. جمدت لحظة ثم تذكرت قول لوكان... لا تخافي اذا صادفت سمكة براكودا. اسبحي بسرعة الى الشاطىء ولا تلبطي برجليك. هذه السمكة لا تخاف لبطك. المهم ان تسبحي بسرعة.

كان الشاطىء بعيداً بحوالى نصف الميل. نظرت نظرة سريعة الى الوراء ورأت ان البراكودا ما تزال تتبعها. خافت جداً لأن هذه السمكة تستطيع ان تقطع رجل او فخذ الانسان الذي تهاجمه. كانت تعرف انها لا تستطيع ان تسابق هذا الوحش وذراعها ما تزال تؤلمها. اسرعت واحتمت بصخرة قريبة كانت تبرز وسط الماء. وصلتها قبل ان تصلها البراكودا بقليل. وبقوة حب البقاء تكومت فوق الصخرة بعيداً عن اسنان البراكودا التي تشبه المنشار. كانت تراقب السمكة القوية بعينين فزعتين تدور حول الصخرة وهي تظهر اسنانها المنفرجة والجوع في عينيها. كانت تعرف ان السمكة لن تضجر وتتركها لشأنها قبل ساعة او اكثر من محاصرتها. نظرت الى الشاطىء وتمنت لو ان جوليوس يراها بعينيه الحادتين ويحضر لنجدتها في مركبه. صرخت اكثر من مرة:

- جوليوس!

لم تسمع صراخها غير طيور البحر. البحر اسود والبراكودا تتابع دورانها دون كلل. تملكها الرعب فأخذت ترتعد وبدأت تشعر بالبرد الشديد. الأمواج تتلاطم وترتفع فوق الصخرة لترشها بالرذاذ. كل موجة تأتي اعلى من سابقتها. وبدأت الطيور تختبىء بين الصخور هرباً من العاصفة. احست انها لن تصمد طويلاً بل ستجرفها الأمواج وتنزلق من فوق الصخرة الى فكي البراكودا. زادت الرياح سرعة حتى بدأت اشجار النخيل قرب

الشاطىء تنحني وتكاد تصل الأرض. بدأ المطر ينهمر ونالها منه الكثير. وبدأت تفقد الأمل في ان تصلها اي نجدة. نظرت الى الشاطىء بيأس واذا بها ترى حركة . . . لمحت هيكلاً لرجل طويل اسود يرتدي قميصاً ابيض.

صرخت على امل ان يصل صوتها اليه عبر الرياح المزمجرة:

ـ جوليوس! انا اسيرة فوق الصخرة. سأهوي. اسرع لنجدتي. . .

اسرع الرجل وفك المركب المربوط على الشاطىء. لا بد انه سمع نداءها. شكرت السماء وحسن حظها وهي ترى الشبح الأسود يجذف مسرعاً باتجاهها.

كل موجة كانت تشدها بعيداً عن الصخرة التي تتمسك بها. بدأت يداها ورجلاها تفقدان الحس من شدة البرد. وبدأت اسنانها تصطك.

اقترب المركب ورأت الوجه القاسي الذي لا يعرف اللين. رأت زوجها لوكان في المركب يجذف بسرعة على ضياء البرق الذي يملأ السماء. كان لوكان يراها ايضاً نحيلة مبللة تتمسك بالصخور بجهد كبير. وضرب المركب بالصخرة. كانت عيناه الوحشيتان مرعبتين اكثر من عيني السمكة الجائعة.

كانت تتكلم وهي ترتجف برداً وخوفاً:

ـ لحقت بي سمكة البراكودا. . .

ـ القي بنفسك. . .

فتح لوكان ذراعيه. وامسك بها بقوة. تكورت بين ذراعيه كأنها قطة صغيرة. واستكانت للحظات ترتاح على كتفيه. احست ضربات قلبه القوية. وضعها في المقعد بجواره وبدأ يجذف وسط الموج الغاضب الى الشاطىء. كان المركب يهتز ويكاد ينقلب كأن تنيناً يضربه بذيله. جلست كارا دون حراك تنتظر بعض الكلمات المواسية من زوجها ذي الوجه العابس.

ـ كل الدلائل كانت تشير الى ان عاصفة هوجاء في طريقها الينا ومع ذلك نزلت الى البحر وسبحت بعيداً! انت تتصرفين كالمجانين.

كانت كلمات لوكان تلسعها اكثر من الرياح الغاضبة الباردة فوق جسدها المبتل.

ـ كم انا سعيدة لأنك وجدتني قبل فوات الأوان.

ارادت كارا ان تبكي من شدة يأسها.

ـ جوليوس يبقى قرب الشاطىء معظم الأحيان. ظننتك هو...

ـ ظننت انه هو الذي حضر لانقاذك.

ـ نعم. انت لا تعود من عملك باكراً...

بدأت اسنانها تصطك.

ـ أنت مجنونة. لقد بقيت فوق الصخرة لفترة طويلة. لولا انني اردت ان اتمشى قليلاً وخرجت لبقيت فوق الصخرة الى الآن.

لماذا لا يبدي لها حنانه واهتمامه وانشغال باله عليها؟ لقد اراد ان يمشي قليلاً! وها هي الآن عكرت عليه صفو نزهته المسائية واضطرته لانقاذها.

واخيراً وبعد عراك عنيف مع الموج الصاخب كأنه كابوس او منام مزعج وصلا سالمين. قفز لوكان وربط المركب ثم حمل كارا بين ذراعيه ومشى بها فوق الرمال تلفحهما الرياح والامطار ووصلا الى الخليج الصغير. فكر لوكان ان يحملها الى المصعد الكهربائي ولكنه خاف ان تتعطل الكهرباء كعادتها خلال العاصفة وان يعلقا في منتصف الطريق. لذلك حملها الى منزل الشاطىء الصغير.

صعد بها الدرجات القليلة وفتح الباب. انزلها على رجليها وعلى هدى البرق استطاع ان يصل الى الطاولة ويشعل القنديل. بدأ قلب كارا يضرب بعنف شديد. واقفلت باب المنزل خوفاً من العاصفة.

ـ اخلعي ثياب البحر بينما اشعل المدفأة واسخن بعض الحساء.

ذهب لوكان الى خزانة المؤونة وانتقى بعض المعلبات. كان ظهره الى كارا وهي تخلع ثياب البحر وتنشف نفسها. وقعت ثيابها ارضاً وربطت المنشفة حولها. استدار لوكان يحمل بيديه علبتين.

ـ حساء البندورة ولحم السمك. بسكويت وزبدة وبعض القهوة. ليس لدينا ماء. سنكتفي بالعصير الموجود عوضاً عن الماء. عليك بالقليل من العصير الآن.

صب لها قليلاً من العصير واعطاها الكأس لتجرعه. امسكت المنشفة بيد واحدة وهي تشرب باليد الثانية. لم تترك نقطة واحدة.

اشعل لوكان المدفأة وفتح علبة الحساء فوضعها في صحن معدني عميق وتركها تسخن فوق المدفأة. ثم نظر الى كارا وقال:

- تعالي قرب المدفأة. المكان هنا دافىء.

مشت الى حيث اشار. وامسك بها لوكان بخشونة وأخذ يجففها بالمنشفة. شعرت بقلبها يقفز الى حنجرتها.

امرها قائلاً:

- لا تتلوي!

كانت عيناه اللامعتان تسبران عينيها وهو يمر بيديه فوق جسمها في عملية التنشيف. كانت مرتكبة جداً. وذهب لوكان الى الاريكة ليجلب لها حراماً صوفياً بعد ان انتهى.

قال آمراً:

- خذي هذا الحرام الصوفي ولفي نفسك فيه.

قالت بكبرياء:

- معي ثيابي. استطيع ان البسها.

هز لوكان رأسه موافقاً. وبدأ يضع البسكويت والزبدة والمخلل فوق الطاولة المستديرة. فتح علبة لحم وملأت رائحة التوابل الغرفة. كانت كارا تلبس ثيابها بأسرع ما يمكن. قال:

- هل ما زلت تشعرين كأنني اصطدتك بشبكة؟

مرت كارا بأصابعها فوق شعرها المبتل. ولاحظت نظر لوكان فوق رقبتها حيث ما زال العقد يطوقها. حاولت ان تخفيه بيديها. قال لوكان وجلس الى الطاولة:

- الحساء جاهز.

تبعته كارا. وقفزت من مكانها بعصبية حين لمع البرق في الغرفة ومزقها صوت الرعد الحاقد القوي. اضاف وقد نفد صبره:

- اقفلي الستائر.

كان مزاج لوكان متقلباً اما هي فكانت تشعر بالأمان لأنها بعيدة عن العاصفة في الخارج.

سألته وهي تأكل البسكويت والزبدة:

- هل تظن الأهل خمنوا اننا آمنان في منزل الشاطىء؟

- كنت امضي ليالي عديدة هنا في السابق.

كان لوكان يتباهى بغرامياته.

- هل ترغبين في المزيد من العصير؟

هزت كارا رأسها نفياً. وصبب لوكان لنفسه المزيد. لون عينيه بلون الزبرجد الأخضر وشعره الأحمر فوق جبينه قد جف. كان يجلس مطمئناً كأنه في بيته.

قفزت كارا من مكانها مرة ثانية بعد ان سمعت صوت شجرة تتكسر خارج المنزل. كانت صاعقة قد اصابتها وقلبتها. الريح والبحر يزمجران سوية كأنهما ينافسان بعضهما في شدة الغضب. قالت:

- هل ستبقى هذه العاصفة طويلاً ام تنتهي خلال ساعة او اكثر؟

قال مجيباً على سؤالها وفي عينيه نظرة عابثة:

- لن تنتهي هذه العاصفة قبل ساعات. ربما ستبقى الليل بطوله. من يعرف؟

ليلة عاصفة، ليلة مع لوكان. خفق قلبها خوفاً. لا يوجد هنا اي باب لتغلقه دونه. تركت الطاولة ومشت الى حيث يوجد رف الكتب. كتاب سيساعدها في تمضية الوقت. تفحصت العناوين. واخذت كتاباً ثم جلست في كرسي مريح. حاولت ان تبعد عنها فكرة انها تنفرد بلوكان لأول مرة بعد ليلة الزفاف في الغابة. سألها متكاسلاً:

- هل وجدت كتاباً مثيراً؟

كان يدخن سيكاره وقد مدد رجليه مسترخياً.

لقد مرت ساعة منذ بدء العاصفة.

قالت دون ان تنظر اليه:

- قصص لأوسكار وايلد.

- الحكيم الايرلندي، الخفيف الظل. الرجل الايرلندي يغلف روحه المأساوية بقشرة من المراوغة. هل تعرفين ذلك؟

- هل تريد ان تقول لي انك تعيش مأساة؟

ضحك قليلاً وقال:

- انا اركب الفرس واجذف واذهب الى الحقول واقطع القصب مع العمال. استطيع ان أتسلق سلالم التنين واحمل المرأة بين ذراعي . . . ولكن برايد لا يستطيع ان يفعل اي شيء من هذا القبيل. هو الذي يعيش مأساة. اليس كذلك؟

تذكرت برايد وقد احاط نفسه بالاشياء الجميلة التي لا حياة فيها. قالت:

ـ انت تفعل لبرايد كل شيء. تتخلى لأجله عن اي شيء. احياناً اشعر انك ترغب ان تكون بعيداً عن خليج التنين بآلاف الاميال ولكنك تبقى هنا من اجله...

ـ لأريح ضميري؟

ـ لا اريد ان اجيب عن هذا السؤال يا لوكان.

ـ ولم لا؟ نحن الآن وحدنا. فرصة مؤاتية للمصارحة بالحقيقة. انت نادمة على زواجك مني. اليس كذلك؟ لقد ارتبطت برجل لا تستطيعين ان تحبيه.

ضحكت ساخرة:

ـ انت تتكلم معي عن الحب. وهل استطيع ان احب رجلاً يحب امرأة اخرى؟ لا اظنني استطيع. انا يونانية فخورة بذلك.

وقف فوقها كالطود:

ـ فخورة. انا لا احتمل المزيد من الفخر. والدتي كانت فخورة لأنها تزوجت من آل سافدج. كانت تتركنا انا واخي نتصرف كأننا ماردان صغيران نفعل ما نشاء. نركب الفرس بوحشية حتى ننهكها. نلهو بقلوب العذارى. كارا انا لست الوحيد من آل سافدج الذي اخطأ. هل تعتقدين ان برايد كان دائماً شهيداً؟

حدقت كارا بزوجها. ورأت بصيصاً يلمع في عينيه. كانت عاطفة حنونة مكبوتة تطل منها وسط السكون. وسمعت المطر ينهمر بغزارة فوق السقف والموج الصاخب يتكسر على صخور الشاطىء.

هل كان صوت العاصفة المرعب هو الذي جعلها تقف من مكانها ام نظرة لوكان المستفسرة حين امسكت بعقد الكهرمان الذي اهداها اياه برايد؟ مشى لوكان الى الباب. ولوهلة ظنت انه سيخرج الى العاصفة. وقف وظهره الى الباب وقال:

ـ هذا العقد كان ملك لويلا سافدج. كان في جيدها يوم ماتت. هل اخبرك برايد بذلك؟

هزت رأسها نفياً. وكرهت لوكان لأنه اخبرها ذلك.

ـ انت تكره ان يعطيني برايد اي شيء. انك تغار منه. كنت دائماً تغار منه...

مشى لوكان اليها وامسك بالعقد وشده. انفرط العقد وتناثرت زهراته الذهبية ارضاً. وجرح كتفها وكدم من المشبك الذي انكسر. كانت تتفرج فزعة وهي ترى لوكان يدوس برجليه فوق الزهرات ويحاول سحقها. وكالحيوان المتوحش ركضت كارا الى الباب وفتحته تحاول الهرب. دخل المطر والريح الغرفة ولكن لوكان امسك بها واغلق الباب برجله.

لم تر لوكان ينظر اليها نظرة مخيفة كهذه ابداً. وارتعدت من رأسها حتى اخمص قدميها... كانت ستقع ارضاً لو لم يمسك بها ويضمها الى صدره بقوة وهو يقول:

ـ انت جادة في ارضاء برايد. اليس كذلك؟ حسناً. سنعطيه الشيء الوحيد الذي يريده اكثر من اي شيء آخر... سنعطيه الولد.

وبدأ يعانقها بوحشية. حملها بين ذراعيه الى الغرفة وفي عينيه بحر هائج كانت تسبح فيه. واطفأ نور القنديل.

بقيت العاصفة تزمجر طيلة الليل. وفي الصباح كان الهدوء العميق يلف المنزل ولم يعكّر صفوه صوت عصفور. تحركت كارا قليلاً. كأنها نامت نوماً عميقاً تحت اشعة الشمس الحارة وقد نسيت اسمها او من تكون. واحست ذراعاً قوية تربطها بالفراش. كانت اصابع يدها تداعب شعر لوكان الاحمر. وسحبتها على الفور كأنها احترقت. حدقت بوجهه الهادىء وهي ترفع ذراعه عن جسمها. واجفلت كأنه غريب لا تعرفه. نزلت من السرير ولبست ثيابها. الفجر يطل من النوافذ والستائر منفرجة يداعبها الهواء المنعش. تذكرت ان لوكان نهض اثناء الليل وفتح النوافذ والستائر بعد ان هدأت العاصفة ثم عاد الى السرير.

تركت منزل الشاطىء ووقفت فوق السلالم تسترد انفاسها. ثم بدأت تسير باتجاه البيت الكبير وهي تكبت آلامها...

لقد هدأ كل شيء. حتى لوكان الذي عاملها دون رحمة او حنان. كان بركاناً من الغضب... الغضب لأنها ليست كابريس. تذكرت عناقه الوحشي المخيف. واسرعت ترتقي سلالم التنين.

انه لا يحبها. سترحل اليوم بعد ان ترتب حقائبها. ستترك البيت

الكبير، هذا البيت المحطم لأن الولاء فيه متضارب. وجسمها النحيل هو الجسر الذي استعمله لوكان ليصل الى هدفه... الولد.

ارتفعت الشمس في السماء. والمنزل الكبير يكتنفه الهدوء في الصباح والنور يتسرب الى نوافذه العديدة الصامتة.

مرت بأصابعها على جيدها حيث كان عقد الكهرمان ودخلت القاعة الواسعة وهي تلقي حولها نظرة رعب كما فعلت يوم وصلت الى هنا وهي عروس. مرت بالمدفأة حيث كان الكلب الأسود الكبير. وكان عادة ينام امام عتبة غرفة سيده ولكنه كان غائباً عن البيت.

مرت بيدها على رأسه:

ـ اهلاً يا جت.

كان كالأسد الرابض ولكنه اليف مع من له علاقة وثيقة بسيده. نبح قليلاً كأنه يسألها عن مكان سيده. فربتت على رأسه وابتسمت له وقالت:

ـ انت لا تسأله اي سؤال. حاستك تؤكد لك حبه. انك لا تشك في حبه لك. ولا تخاف منه.

مشت الى جناح الزمرد وتبعها جت. الغرفة باردة صباحاً. ونظرت الى الساعة قرب السرير. ستحضر احدى الخادمات بعد قليل بفنجان الشوكولا الساخن مع القرفة. كانت معتادة على تناول الشوكولا صباحاً مثل لوكان، وكذلك ركوب الخيل عند الفجر. وتنهدت وهي تفتح خزانة ثيابها. فتحت حقيبتها وبدأت تجمع ثيابها. سمعت لوكان يدخل الغرفة المجاورة فقفز قلبها وخرج جت لملاقاة سيده. فتح الباب وظهر لوكان يسد بقامته الباب. احسته كارا بكل حواسها وكان يحدق في حقيبتها والثياب التي بداخلها:

ـ ما هذا!

ومشى بسرعة الى الفراش حيث الحقيبة.

ـ سأتركك يا لوكان. سيحملني جوليوس على طوافته الى فورت فرناند، اذا سمحت له، ومن هناك اسافر الى المارتينيك واستقل الطائرة الى اوروبا.

سألها بخشونة:

ـ الن تذهبي الى انديلوس؟

ـ ليس فوراً.
كانت تحاول ان تخفي يديها المرتجفتين.
ـ ارغب في الانفراد بعض الوقت...
ـ هل هذا معقول؟ هل تعتقدين انني اتركك تغادرينني بهذه السهولة؟ هل نسيت الليلة الماضية... هل جعلتنا غريبين بدلاً من ان تجعلنا زوجاً وزوجة؟ امسك بكتفيها وادارها اليه. كانت تعابير وجهه عابسة ولون عينيه رمادياً بارداً.
ـ سنظل غريبين الى الأبد. حتى لو حملت لك ولداً سأربيه بعيداً عنك في بيت يملأه الحب، بيت شقيقي بول وليس هنا في بيت خليج التنين حيث المرارة تسكن البيت بدلاً من المحبة!
خيم صمت قاتل. ولا تعرف ما الذي كان يحصل لو لم تسمع صرخة قوية وشيئاً يقع في القاعة ثم يتحطم.
حدق لوكان بعيني كارا الفزعتين الواسعتين. وتركها وهو يسرع خارجاً من الجناح. تبعته وقد انهارت اعصابها. ومن الشرفة المطلة على القاعة شاهدا الثريا الكبيرة وقد انهارت وانتثرت شظاياها على ارض القاعة. كانت بقايا الكريستال البلوري تختلط مع قطع من الجفصين والخشب الذي وقع من السقف. وانقشع الغبار تدريجياً. كانت رجل فتاة صغيرة في مشايتها الحمراء وثوبها الابيض تبرز من تحت الأنقاض. انها رو. الصغيرة الفاتنة رو مكومة على الأرض وسط الركام...
ـ رو!
اسرع قلب كارا خوفاً وهي تصرخ والقاعة ترجع صدى صرختها. وركض لوكان على الدرج وقد سيطر عليه الألم المبرح والكرب وهو ينحني فوق الجسم الصغير ويخلصه من شظايا الزجاج الحادة بينما الأبواب تفتح والخدم يتراكضون وقد خرج برايد من مكتبه فوق كرسيه المتحرك ووجهه متجهم.
سألت كلير وقد ظهرت بثوب فضفاض ملطخ بالتراب وعلى خدها لطخة من الطين:
ـ ما الذي حدث؟
ـ سقطت الثريا وكانت رو تحتها مباشرة تقريباً...

ـ رو؟

تمتمت كلير مشدوهة ثم ركضت الى لوكان حيث كان يرفع رو بين يديه وهي بدون حراك.

كان في فورت فرناند مستشفى ولكن الطبيب فابر قرر ان تعالج رو في البيت الكبير، لأنه وجد انه ليس من الحكمة ان تؤخذ فتاة اصيبت بارتجاج في المخ في رحلة طويلة براً او بحراً. كان لدى الدكتور فابر آلات للتصوير على الاشعة تحملها سيارة. وجلبها فوراً الى البيت الكبير وعالج بواسطتها رو. وظهر ان هناك كدمات خارجية ولا وجود لأي كسر في الجمجمة. حمد الله على ذلك ونظف لها جروحها وكدماتها.

قالت كارا:

ـ ساعتني بها في غرفتي.

وايقنت انها لا يمكن ان تغادر خليج التنين في مثل هذه الظروف. انها تجيد خدمة المرضى وكانت قد اعتنت سابقاً بعمتها سوفولا قبل وفاتها.

قالت كلير:

ـ انا لا انفع مع المرضى ولا احسن خدمتهم او الاعتناء بهم.

كانت كارا تعلم ان كلير ليست انانية وانها تحب الصغيرة اكثر بكثير مما تظهره للجميع. ووقفت كلير في القاعة تحدق في السقف حيث ظهرت الفجوة الكبيرة بعد سقوط الثريا مع اسلاك ممزقة خرجت من مكانها...

كانت كارا في الشرفة حين رأت نلز ينضم الى كلير مواسياً ويلف ذراعه حول كتفها. كان وجهه خائفاً. رأته يكلمها ويهدىء من روعها وهما في طريقهما الى غرفة الاستقبال.

خرج برايد فوق كرسيه المتحرك واخذ يدور حول الركام. هل انتابه اليأس لأنه لا يستطيع ان يصعد السلالم ليبقى بجانب الطفلة؟ كان يبدو عليه الاهتمام. انه يحب رو الجميلة... الطفلة التي تحمل دماء آل سافدج ولها لون عيونهم وشعرهم.

حملت كارا امتعتها الى غرفة رو وعادت مسرعة الى جناح الزمرد. وكادت تصطدم بالطبيب.

ـ آه. اريد بضع كلمات معك يا سيدة سافدج. الفتاة المسكينة تحتاج للرعاية في الأيام القليلة المقبلة. اتمنى ان تكوني ممرضتها. انا استطيع ان

اطلب لها ممرضة قانونية ولكن ذلك يحتاج الى وقت. سأوكل اليك امر العناية بها.

اكدت له كارا قائلة:

- سأفعل يا دكتور. رو تهمني كثيراً.

قال الطبيب:

- افهم شعورك يا مدام. رو طفلة مرحة. ومن الحقائق الغريبة ان هؤلاء الأطفال يتفوقون بالجمال والذكاء على الاطفال العاديين.

ارادت كارا ان تسأل الطبيب ما اذا كان يعرف والدة رو ولكنها امتنعت... لا شك ان والدتها كانت تحب هذا الرجل حباً جنونياً ولم تبال ما سيكلفها هذا الحب من ثمن.

دخل الطبيب معها الى غرفة رو. وكان لوكان يقف قرب السرير ناظراً الى وجه الطفلة بذهول. كان شعر رو الأحمر يفرش الوسادة بينما ضماد ابيض يلف رأسها.

سأل لوكان:

- هل هي بخير يا دكتور؟ انها فاقدة الوعي.

- انها تعاني من ارتجاج في المخ. تحتاج لراحة تامة. لقد سألت زوجتك ان تعمل ممرضة لها. ارجو ان توافق انت على ذلك.

- انني اوافق بالتأكيد ولكن اليس من الأفضل ان تجلب لها ممرضة متخصصة؟

- انت تهتم بالفتاة. ولكنني متأكد ان زوجتك تستطيع ان توفر لها خدمة ممتازة. سأمر عليها في اوقات معينة. وربما بقيت الصغيرة دون وعي ليوم او اكثر.

حدق لوكان في زوجته ملياً ثم تركها ومشى الى الغرفة الزجاجية حيث سرح بعينيه بعيداً في البحر الواسع. كان الطبيب يعطي كارا تعليماته الأساسية.

القنديل ينير غرفة الطفلة والساعة تدق بهدوء. جلست كارا على كرسي عميق قرب سرير رو. في حضنها كتاب مفتوح لم تقرأ فيه أية كلمة. كانت تستمع الى صوت البحر الغاضب وهو يضرب الصخور في الخليج. المياه تندفع وتلطم المنزل كأنما تود ان تأخذ من جديد ما اعطته لآل سافدج في



الماضي.

انحنت كارا فوق رو ووضعت كفها فوق جبهتها لتقيس حرارتها. كانت حرارتها مرتفعة الليلة الماضية وها هي باردة ترتجف. جلست كارا تحدق بها وتتمنى ان تفتح رو عينيها وتعود الى وعيها. مرت دقائق ولكن رو لم تفتح جفنيها.

كانت ذكرى ليلتها مع لوكان تملأ كيانها. ذكرى منزل الشاطىء والعاصفة الهوجاء، البرق والرعد وعناقه. لم تعد تذكر ما قالت او ما شعرت به. كان عاشقاً مجنوناً ولا مهرب منه. جعلها تصمم على ان تترك الجزيرة وتهرب منه ولكن الظروف لا تسمح بذلك الآن. انها بجانب الطفلة التي يحب. عندما تلتقيه سوف تكلمه كأن بينهما هدنة مؤقتة. هو يعرف انها سترحل بعد شفاء رو. هي تعرف انه سيمنعها... ليس بسبب حبه لها ولكن لأنها ربما تحمل ابنه... الذي سيرث الأملاك.

حاولت كارا جاهدة ان لا تفكر فيه. نظرت حولها في الغرفة. لقد غيرت شكلها قدر المستطاع. جلبت العاب رو من غرفتها الى هنا. وكانت دا تجلس مع الطفلة حين تذهب كارا ترتاح قليلاً وتستحم. ولما عادت كانت تحمل كيساً مليئاً بالألعاب. نظرت اليها دا بعينها الجارحة ولم يعجبها الحال وقالت:

- هذه غرفة مريضة يا سيدة كارا ولا تستطيعين ان تضعي فيها كل هذه الالعاب.

- ستراها رو عندما تفيق من غيبوبتها. انها تساعدها على ان تنسى الحادث الرهيب الذي حصل لها.

قالت كارا ذلك وباشرت بترتيب الالعاب بحيث تبدو كأنها تمد يديها لاستقبال رو بين ذراعيها عندما تستفيق. زمت دا شفتيها امتعاضاً وخرجت غاضبة من الغرفة.

وجدت كارا احدى العرائس تنام على وجهها. ذهبت لتجلسها. انها لعبة رو المفضلة جنجر. وكان قد اهداها اباها لوكان وهي تنام معها دائماً في السرير.

امسكت كارا بالعروسة واجلستها فوق طاولة الزينة قرب المرآة. وشهقت من الألم لأن شيئاً حاداً وخزها في اصبعها. تفحصت الدمية جيداً

فاذا دبوس حاد شك في رأسها. كان دبوساً حاداً كالمخرز. وربما كان هناك يوم صنعت العروسة وضاع بداخلها حين الحشو.

مخرز حاد يغرز في رأس العروسة التي تحبها رو كثيراً. وها هي تنام مجروحة ورأسها تلفه الضمادات.

حلت اللعبة والمخرز في رأسها بيدين مرتعشتين ووضعتها في جارور واقفلت عليها. ثم عادت مسرعة الى رو تحاول ان تحميها على طريقتها. هناك شخص في هذا البيت يحاول ان يؤذي الاشخاص الذين يحبهم لوكان. شخص يكرهه ويلومه من اجل حادث برايد. شخص روع رو ليلاً واخافها... شخص ارعب كارا وكاد يدهسها بحوافر حصانه. شخص تسبب في سقوط الثريا فوق رو وكاد يقتلها ... سمعت كارا وقع اقدام في الغرفة المجاورة.

ـ لوكان؟

نادته وتمنت ان يكون هو. انه حاجز منيع ضد اي خطر يكمن لهما.

فتح الباب بين الغرفتين ودخل لوكان. كان يلبس كنزة خضراء مع قبة مرتفعة ويحمل كأسين ساخنين بين يديه. وقد تجمع ضوء القنديل في عينيه فأخذتا تلمعان.

ـ شراب ساخن يفيدك.

ناولها كأساً ووقف ينظر الى رو.

ـ هل من تحسّن؟

ـ منذ برهة تحركت قليلاً حين لمستها. تناولت كارا الشراب الساخن المليء بالتوابل وأحست باللحظات السوداء التي داهمتها منذ فترة تختفي بعد ان حضر لوكان.

ـ ضع يدك فوق شعرها. انا واثقة انها ستشعر بوجودك قربها.

مر لوكان بيده فوق شعرها. وتحركت شفاه الطفلة كأنها تتمتم باسمة. كانت كارا متأكدة ان الرابطة بينهما هي رابطة دم واحساس ينبع من القلب. لماذا ترك برايد يتبنى الطفلة التي هي ابنته؟ هل كتب عليه ان يعطي كل ما يملك الى برايد؟ هل عاملها بوحشية وحطم عقد الكهرمان لأنه يتمنى ان يتحرر من اخيه ومنزل اخيه؟

وقف لوكان تحت ضوء القنديل يشرب شرابه الساخن. كم هو جذاب

ومثير وعابث. رغبت كارا ان تلمسه بحنان او تتكلم معه. ولكن ماذا ستقول؟ لقد اقسمت انها اذا حملت ابنه ستربيه بعيداً عنه وعن البيت الكبير.

بقي لوكان معها بجانب رو لليلة الثانية. غفت كارا قرب الفجر في كرسيها وجعلها تذهب لترتاح فوق الاريكة في الغرفة المجاورة. وبعد قليل عاد اليها ويداه الدافئتان على كتفيها وهو يقول بلهفة:

ـ استيقظي يا كارا. رو فتحت عينيها ولكنها لا تعرف اين هي.

حمل لوكان كارا الى الغرفة الثانية حيث كانت رو مفتحة العينين. كانت تحدق دون ان تعرف كارا وتنظر الى لوكان كأنها تفكر فيمن تكون. تمتمت:

ـ اين جنجر؟

ارادت كارا ان تبكي وهي تقول:

ـ لا يا عزيزتي ليس تلك العروسة.

فرمقها لوكان بنظرة استغراب. فتحت كارا الجارور واخرجت العروسة التي خبأتها. رأت لوكان يعبس. ثم مشت الى رو واعطتها جنجر. قال لوكان وقد تحير:

ـ انها تتذكر لعبتها المفضلة.

فقالت كارا:

ـ ربما فقدت الذاكرة مؤقتاً.

عندما حضر الطبيب اكد لهما ان حالتها في عدم التعرف عليهما عبارة عن فقدان مؤقت للذاكرة تحاول الطفلة عن طريقه ان تنسى صدمتها والمها وخوفها. وبعد رحيل الطبيب اخذها لوكان الى الغرفة الزجاجية وشكرها على سهرها في رعاية رو.

سألها وهو يفرك يديها بيديه:

ـ هل ستبقين معها اكثر ما يمكن؟

شعرت انه يتحسس خاتم الزواج في يدها اليسرى.

ـ كلير وعدتني ان ترعاها حتى تأخذي قسطاً من الراحة.

ـ رو الآن افضل بكثير. وكلير فنانة خيالية لا تعرف كيف ترعى مريضة. كان قلبها يضرب بسرعة وهي تفكر ان تخبره عن العروسة والمخرز المغروز في رأسها. ربما يسخر منها... لا يمكنها ان تتهم احداً في

المنزل بالسحر او الشعوذة ليجلب الشر والضرر . . .

اخذ فرسه المسرج في الساحة يصهل. ونبح كلبه مشيراً الى ان الوقت قد ازف للعمل. عليه الذهاب الى المصنع حيث سيستلم بعض الآلات الحديثة.

- علي ان اذهب.

امسك كارا من كوعها كأنه يحاول عناقها، وطبع قبلة اخوية، لا طعم لها ثم مشى الى سرير رو وودعها.

مرت كارا بيدها على خدها حيث ترك حرارة شفتيه. حبيبتي الصغيرة رو. . . قالت في نفسها. . . لن اغار منها لأنه يحبها ولا يحبني. . .

مرت ايام اخرى وبدأت رو تستعيد نشاطها وحيويتها. وشرح الطبيب ان فقدان الذاكرة هو محاولتها ان لا تتذكر الساعة الرهيبة التي كادت الثريا ان تسحقها. هذه اللحظة الرهيبة التي لا يمكنها مواجهتها. لقد اخبرت كارا انها رأت نفسها في المنام تقع عن الارجوحة وتجرح. ووافقتها كارا على تصوراتها محاولة ان تطمئنها.

- تعالي نأكل الفطور. اذا اكلته كله يسمح لك الطبيب فابر بمغادرة الفراش عدة ساعات.

كانت كارا تشجعها على الطعام وتفتح لها شهيتها بأن تضع لها الشوكولا الساخنة في كوب مزين بالعصافير الملونة، والبيض المسلوق في صحن مزخرف. اكلت رو معظم فطورها. وبدأت كارا ترتب لها غرفتها بينما رو تلبس الاسوارة التي اهداها اياها لوكان والعقد الملون الذي صنعه لها جوليوس من اصداف البحر.

- انني اميرة ايرلندية. اليوم سأتقبل الطاعة من الرعايا. اركعوا يا عبيدي.

ومدت رو رجليها فوقعت كل العرائس المصفوفة على وجهها. وضحكت مسرورة.

- هل اشبه ابي في شكلي؟

كانت رو تنادي لوكان منذ الحادث. . . والدي. في البداية لم تتعرف الى كارا. اخبروها انها زوجة لوكان. فقالت:

- هل ماتت امي منذ زمن بعيد؟ وهل حزن والدي طويلاً قبل ان

يتزوجك يا كارا؟
اجابتها كارا:
- يا عزيزتي. انا لا احب ان اسأله مثل هذا السؤال.
سألت رو:
- ربما تتساءلين ما اذا كان قد احبها اكثر مما يحبك؟ انت لطيفة ومحبوبة يا كارا. اعتقد ان والدي تزوجك لطيبة قلبك.
اجابتها كارا واقترحت ان تلعبا سوية في تركيب القطع المصورة:
- اعتقد ذلك.
وكلما حاولت الفتاة فتح موضوع والديها كانت كارا تجد طريقة لتغيير مجرى الحديث. هذا الصباح اقترحت عليها ان تمشي قليلاً على رجليها وتجلس في الشرفة تحت اشعة الشمس لساعتين او اكثر. قالت رو:
- اشعر انني ضعيفة ولا استطيع المشي.
- ساعدتها كارا في ارتداء ثيابها. وقالت:
- سيحملك صموئيل الى اسفل.
كانت الانقاض المتراكمة في القاعة قد ازيلت. وجد العمال شرخاً كبيراً في السقف. واصر لوكان ان يستدعي خبيراً في المباني وطبقات الأرض وعوامل التعرية ليكشف على الصخور التي بني البيت الكبير فوقها. قال برايد:
- هذه الصخور قوية كالحديد وسيقف هذا المنزل اكثر من مائة سنة اخرى.
قال لوكان وقد نفد صبره:
- كيف تؤكد ذلك؟ كلنا يعرف ان البحر يطبق على الأساسات وهي تستلم ضربات متواصلة كلما كان البحر عالياً والموج صاخباً. انا واثق من ان العاصفة الليلة الماضية قد تسببت في وقوع الثريا.
قال برايد:
- حسناً اطلب خبيراً اذا كان ذلك يهدىء من روعك ويريحك.
اصبح الجو في البيت الكبير مكهرباً كأن العاصفة تعيش فيه. كانت كارا تخرج مع رو خارج المنزل. تمشي خلف صموئيل الذي يحمل الصغيرة بين يديه محملة بالقصص والالغاز والعرائس الملونة. الشرفة مليئة بالزهور

المرجانية الملونة وزيز الحصاد يرتل تراتيله الرتيبة. تجلس هي ورو امام البركة حيث نوافير الماء تترقرق. وكانت تشعر بمعنوياتها ترتفع هنا بعيداً عن جو البيت الخانق.

كانت رو تركض حول البركة:

- كارا. الا تظنين ان البيت الكبير يشبه القصر المسحور. . . فيه تنين وامير ونحن نعيش تحت وطأة سحره؟

سألتها كارا:

- اي نوع من السحر؟

- لا اعرف بالتحديد. هل تعرفين قصة الاميرة والضفدع؟ انه امير مسحور كان يعرف لو ان الاميرة تقع في حبه سيتغير شكله من ضفدع سخيف الى امير جميل.

سألتها كارا:

- وهل وقعت الأميرة في حبه؟

- اعتقد ذلك. كل قصص الجنيات تنتهي نهاية جميلة ولكن ذلك يختلف في الحياة. اعني هل تعتقدين ان فتاة تقع في حب تنين؟

- قلت ضفدع؟

قالت رو:

- حسناً! الضفدع هو تنين صغير. الا تعرفين ذلك؟

قالت كارا وهي تردندح اغنية يونانية قديمة:

- عرفت الآن.

قالت رو:

- احب صوتك.

قالت كارا:

- لو كان عندي غيتار لعزفتها لك.

- غنيها لي.

- انا لم اغن اغنية يونانية منذ زمن بعيد. . . عليك ان تصفقي لأن الاغنية تعطي صدى وقوع الزيتون في السلال الكبيرة زمن القطاف.

قالت رو بحماس:

- كارا. عليك ان تعلميني كيف اتكلم اليونانية.

ـ هذا يستغرق وقتاً طويلاً يا صغيرتي.
قبلت كارا اليد الصغيرة ووضعتها على جبهتها وقالت:
ـ هذه هي الطريقة اليونانية التي تقول . . . الله يحرسك.
كانت تمرح مع الصغيرة. واحست كأن ظلاً قد حجب نور الشمس عنها وسمعت الرياح تزمجر وسط حقول القصب واصوات الاجراس المعلقة فوق باب الشرفة تتحرك كأن شيئاً قد مر. حضر صموئيل يحمل لها البوظة. وسألته كارا ما اذا كان البحر عالياً.
ـ انها الامواج التي تنخزها الرياح في ظهرها وهي التي تحركها يا سيدتي. ان التنين الكبير يهدر ويزمجر.
بقيت كارا صامتة تفكر. . . ان التنين الكبير يزمجر.

١٠ - والدة رو

مرت ليال اخرى. وذات ليلة مقمرة استفاقت كارا من نومها على صوت صهيل فرس في باحة المنزل. كانت حوافره تضرب الحصى المرصوفة فوق الأرض. وانصتت تستمع. كانت تعرف ان لوكان يركب فرسه احياناً في ضوء القمر. ولكن الوقت الآن بعد منتصف الليل. خرجت كارا من فراشها ووقفت قرب النافذة تحاول ان ترى الراكب والفرس من غرفة لوكان التي كانت تستعملها الآن لترعى رو. كان لوكان ينام في غرفة اخرى. ولم تستطع ان تتبين الراكب او الفرس من النافذة. لبست روبها ونزلت الى الشرفة حيث كان القمر ينير الباحة. اطلت من نافذة الشرفة فوق السلالم. وكانت صامتة كالشبح وقد حبست انفاسها حين رأت الحصان. كان ذهبياً ورأسه اسود كثيف الشعر. حضر راكبه وامتطى السرج ودفعه بسرعة من الباب الخارجي الى الطريق العام. وكان راكبه طويلا عريض المنكبين يغطي وجهه جيداً بقبعة كبيرة لها اطار عريض تشبه قبعة لوكان التي يرتديها في الحقول.

اختفى الفرس وراكبه في الليل وبقيت كارا ترتعد وحدها في الشرفة. هل كان راكب الحصان لوكان؟ ام انها تمشي في حلمها وتعيش في كابوس خانق؟ هل من المعقول ان يكون لوكان هو الذي حاول ان يوقعها ارضاً في حقل القصب؟

ارادت ان تسرع الى الغرفة التي ينام فيها لوكان ولكنها ترددت. ماذا يحصل لو فتحت الباب ولم تجده؟ ركضت عائدة الى غرفتها واغلقت الباب خلفها بسرعة. دخلت فراشها وهي ترتعد. واغمضت عينيها تطلب النوم

ولكن عقلها الباطني كان مستيقظاً وصورة راكب الفرس لا تفارق مخيلتها.
بدأت تتهرب من لوكان وتبتعد عنه. عندما يحضر من الحقول تكون مع رو في الطابق الأرضي بينما يصعد الى غرفته ليستحم ويغتسل. وعندما يهبط هو الى القاعة تصعد هي ورو الى غرفة النوم. تبقى بصحبتها تتلهى وهي تقرأ لها في كتاب خرافات لافونتين.
في غرفة الطعام كانت كارا تشعر بالاطمئنان حيث يترأس برايد الطاولة ويجلس نلز وكلير امامها. كانت كلير في ثوبها المخملي الأسود تتكلم ببراعة عن الفن والسفر والمدن المفضلة لديها بينما يبقى نلز هادئاً، منطوياً على نفسه كأنه اصيب بضربة قاسية حديثة لا تزال تؤلمه. هل هذه الضربة من صنع كلير؟ كان نلز يحبها وهي لا تؤمن بالحب لأنه امتلاك ويتطلب الكثير. انها تحب الحرية والانفلات من كل القيود. نلز يحب الاطفال ولن يرضى بزوجة تفضل التماثيل الحجرية على الحنان والضحك.
مسكين نلز! انها تفهم وضعه. هي وهو في مركب واحد. قال سافدج يصعب فهمهم وحبهم...
قالت كلير:
- احب عقدك يا كارا.
كان مصنوعاً من الفضة وبه احرف يونانية مطبوعة فوق كل حبة من حباته.
- انه هدية من عمتي.
قالت كلير:
- انها سبحة للصلاة. هل تلبسينه للزينة ام لدرء الهموم عنك؟
نظرت كارا الى لوكان:
- للزينة فقط. وانت يا كلير يعجبني الدبوس الذي تشبكين به شالك.
هل هو عنكبوت في شرك؟
ضحكت كلير وقالت:
- ان شكله يوحي بالشر اليس كذلك؟
قال لوكان وهو ينظر الى اخته:
- انه رمز.
سألت كلير:

ـ هل انا الوحيدة هنا التي علقت في الشرك؟ السنا كلنا؟
قال لوكان عاقداً حاجبيه:
ـ كلنا في شرك خليج التنين؟
ـ تماماً. هذا ما قصدته.
نظرت كلير الى برايد وهو يكسر الجوز بيديه القويتين.
ـ برايد! الا تثور ضد الشرك الذي نصبته لك الاقدار؟
قال برايد:
ـ القدر يا عزيزتي لا ينصب الشراك التي نقع فيها بل نحن ننسجها لأنفسنا حين نغلّب العاطفة على العقل.
بعد العشاء طلب لوكان من كارا ان تعزف على البيانو. فتحت كارا غطاء البيانو وقالت:
ـ ماذا تريدني ان اعزف يا برايد؟
قال برايد:
ـ احب مقطوعة العاصفة لبتهوفن . . . واظن انها قوية جداً على يديك الصغرتين.
قالت كارا:
ـ انا اعزف على معظم الآلات الموسيقية من القيثارة اليونانية الى الجيتار الاسباني. والدتي انكليزية ولهذا السبب تعلمت البيانو وانا طفلة.
ثم تذكرت حبها القديم للموسيقى والآلات الموسيقية المختلفة التي كانت تتجمع في غرفتها في انديلوس.
تحركت اصابع كارا بمهارة وهي تعزف على البيانو وملأت الموسيقى الجميلة القاعة. لم تشعر بشيء حين اقترب لوكان وجلس في الظل قريبا. كانت تشعر بعينيه ترقبانها. بماذا كان يفكر؟ كانت تضرب الاوتار بحنان واحساس. ما الذي يضمره لها؟ ماتت العاطفة وحل مكانها الحزن. احبت مرتين وكلاهما خانا ثقتها بهما. انها ثقة عمياء وبريئة. ضربت اصابعها بقوة وتوقفت مع نهاية المقطوعة. صرخت كلير وهي تبدي اعجابها:
ـ يا عزيزتي لم اكن اعرف انك تجيدين العزف على البيانو ايضاً!
قالت كارا وهي ترتجف من تأثير الموسيقى الطاغي:
ـ كنت دائماً مغرمة بالموسيقى. حين اعزف اعزف باحساسي

وعواطفي. كل استاذ موسيقى لا يعجبه اسلوبي. لا بد ان برايد لاحظ انني اخذت حريتي في العد والتوزيع.

قال برايد يغازلها:

ـ تستطيعين ان تأخذي الحرية التي ترغبينها يا كارا.

قامت كارا من البيانو وجلست في مكان قريب من برايد تاركة لوكان يجلس في الظل بعيداً عنها. وقالت:

ـ كم انت لطيف يا برايد. شكراً.

هدأ الحديث بعد الموسيقى القوية. واخذ الجميع يصغون الى صوت الموج وهو يتلاطم فوق الصخور بضربات منتظمة.

سألت كلير لوكان:

ـ متى تنتظر وصول خبير المباني ليفحص الاساسات؟ هل تعتقد ان البيت الكبير بدأ ينهار فعلاً؟

ـ من الأسلم ان نقوم بفحص الاساسات. سيحضر الخبير خلال الأيام المقبلة.

واخذ لوكان نفساً من سيكاره.

ـ صوت البحر عال، في هذا الأيام. هل لاحظتم ذلك؟

ـ كل واحد منا هنا على صلة روحية بالبحر. نحن آل سافدج نعيش على هذه الشواطىء لأن البحر حمل سفينة جدودنا الى هنا. وكارا ولدت في البحر الأيوني. ونلز يجري في عروقه دم من بحر الفايكنغ. نستمع لصوت البحر كأنه يناجينا.

قال نلز مبتسماً:

ـ لديك مخيلة الفنان الايرلندي الأصيل. البحر كالحب... يكون لطيفاً هادئاً او قاسياً هائجاً.

صرخت كلير بعصبية:

ـ الحب وما شأنه هنا؟ احب ان اذهب بعيداً واعيش في كوخ مصنوع من القش في ايرلندا ولكن خليج التنين يمسك بكلتا يديه من يولد هنا.

سألها نلز:

ـ الن تذهبي بعيداً عن خليج التنين حين تتزوجين؟

كان نلز يحاول ان يثير غضب كلير ويحرك عاطفتها الباردة. وقفت كلير

طويلة، انيقة بشعرها الأحمر النحاسي. انها تنكر على نفسها الحق في محبة اي رجل.

قالت:

ـ نلز. لا تنظر الي هكذا. انك تحطمني.

قال نلز بهدوء:

ـ انت كأميرة الثلج يا كلير ولن تذوبي بسهولة. هل تعلمين ان هناك براكين تحت الثلج في اقصى الشمال؟ عندما يثور البركان تذيب النار الثلج وتحوله الى ماء ينساب كأنه فيض من الدمع.

ـ لن ابكي ابداً يا نلز. انا اترك الدموع للنساء اللواتي يقعن في حب الرجل.

وانحنت له انحناءة كلها سخرية.

ـ مساء الخير ايها الأمير الجميل.

خرجت كلير واغلقت الباب خلفها. وبعد تردد قلق خرج نلز الى الشرفة واخذ يتأمل الاشجار الغارقة في ضوء القمر.

قال برايد:

ـ انت مظلومة يا كارا. هل تجديننا قبيلة قاهرة، غريبة الأطوار؟ انا نجرح بعضنا البعض، اليس كذلك؟ نحن كغالبية الايرلنديين.

قالت كارا باستكانة:

ـ انني احاول ان افهمكم. انا يونانية ونحن شعب عاطفي. ولكننا لا نحارب العاطفة.

وبدت نحيلة ضائعة. لقد علقت مثل نلز في التيارات المتصارعة من الاحاسيس التي تغمر آل سافدج. نظرت حولها تفتش عن صخرة تحتمي بها... كان لوكان وبرايد يلعبان الشطرنج.

قالت كارا:

ـ سأترككما تلعبان الشطرنج. صاحب الفارس الأسود في خطر؟

قال برايد:

ـ الظاهر ان لوكان يهدد فارسي الأسود ويمنعه من الوصول الى الملكة. هل تحاول ان تخفيني من الوجود كلياً يا لوكان؟

ارتعدت كارا لأن المعنى المبطن لجملته كان واضحاً. التوأمان الشقيقان

يتنافسان في حلبة صراع هي خليج التنين.

وركضت كارا خارجة... فسبقها لوكان وفتح لها الباب.

وصلت الى جناح الزمرد تتفقد رو التي كانت نائمة وقربها جنجر عروستها المفضلة. رغبت كارا ان تمسك بها وترميها من النافذة لتتخلص من سحرها الاسود.

انحنت فوق رو وقبلت شعرها الاحمر. ثم فتحت النافذة ووقفت قرب الستارة تتذكر الليلة الماضية والفرس وراكبه. ان حب السيطرة يجعل الانسان لا يميز بين الخطأ والصواب... ورفعت نظرها الى السماء. كان القمر قد فقد استدارته التامة. اغلقت الستائر واطفأت نور القنديل ثم اقفلت باب الغرفة بناء على احساس داخلي غريب.

دخلت كارا فراشها وتذكرت رسالة بول التي وصلتها بعد الظهر. سألها شقيقها ان تسامحه لتصرفه حيال زواجها... واعترف لها انه كان رجعياً ولم يلاحظ انها قد اصبحت امرأة لها عقل وقلب خاص بها. كان يأمل ان تجد الحب الصحيح مع شاب يوناني ولكنه سيكون سعيداً اذا كان لوكان سافدج قد منحها السعادة... حاولت كارا عبثاً ان لا تبكي. كانت الوسادة تحت رأسها كالصخرة.

وتضمنت الرسالة ومضة حب من ذومي والصبي الصغير دومينيك الذي يسأل دائماً... متى ستعود عمتي كارا الى اليونان؟ كم سيسعدها لو تجتمع رو بدومينيك. تذكرت دعوة بول لها ولزوجها لزيارة انديلوس في اقرب فرصة. وعدها بانه سيحتفل بزواجها على الطريقة اليونانية... الخراف المحشية بالارز والاعشاب والتوابل.... العسل واقراص الحلوى الكبيرة كالدواليب. الشراب والموسيقى في كل مكان.

وفي ختام الرسالة سألها بول ما اذا كانت حقاً سعيدة. وهل يعاملها لوكان سافدج معاملة حسنة؟ قال ان قلبها الكبير لا يستطيع ان يملأه الا رجل كبير.

تنهدت. ملاحظة واحدة سترسلها الى بول بانها غير سعيدة وخائفة. ستجعله يحضر على متن اول طائرة الى جزيرة دي لوك ويرحل بها بعيداً عن خليج التنين الى حيث الأمان والاستقرار في بيته... على جزيرة انديلوس.

كانت سارحة بافكارها عندما احست مسكة الباب تدار. قالت كلير بصوت منخفض:
ـ اعرف يا كارا انك صاحية. هل استطيع ان ادخل واتكلم معك؟ رأيت النور من تحت الباب.
ترددت كارا. لقد احتملت اكثر ما يمكنها من مزاج آل سافدج في ليلة واحدة. ولكنها تركت فراشها وفتحت لها الباب.
قالت كلير:
ـ اعرف ان الوقت متأخر ولكن يجب ان اتكلم مع احد.
ـ ادخلي.
شعرت كارا باهمية الحديث. واغلقت الباب خلفها. كانت كلير ترتجف من رأسها حتى اخمص قدميها وقد بدت بدون مساحيق صفراء شاحبة كأن الاشباح تطاردها.
قالت كارا:
ـ سأشعل المدفأة الكهربائية.
ثم جلست على الاريكة تستمع اليها.
ـ كنت سأجن وحدي في غرفتي وانا استمع الى صوت البحر. انه يلطم بانتظام كأنه ملعون او مجنون.
ـ لماذا تبقين هنا يا كلير؟ انك غير سعيدة وقلت البارحة ان عملك لا يسير سيراً حسناً.
قالت كلير بعصبية:
ـ لماذا يبقى اي منا هنا؟ لماذا تبقين انت يا كارا؟ انك تقفلين غرفتك في وجه لوكان على ما اعتقد.
اخذت كارا نفساً عميقاً وهي تفتش عن سبب تبرر به موقفها.
ـ كنت افكر منذ ايام انك تبدين غير سعيدة هنا. كنت آمل ان يستقر لوكان ويكون زوجاً صالحاً لك. انت كالنبع العميق الجاري. هادىء في سطحه وفي اعماقه تيارات متصارعة. ان لوكان يحتاج الى عاطفة ملتهبة.
وضعت كارا يديها على خديها. وتذكرت عناق لوكان لها. هل يحتاج لوكان الى الحب فقط؟ ام يرغب باشياء اخرى لا تملكها هي؟
قالت كارا بصوت هادىء:

- جربت ان اجعله يهتم بي ولكنني لم افلح. هناك حواجز عديدة تقف بيننا.

قالت كلير:

- هل هي كابريس؟

فهزت كارا رأسها ايجاباً:

- لقد اخبرني لوكان برحلته الى باريس ونيته في ان يطلبها للزواج. ولسبب من الاسباب لم يفعل. ثم التقينا في فورت فرناند...

سألتها كلير:

- هل وقعت في حبه؟

قالت كارا:

- ما هو الحب؟ لقد هربت من اليونان لأن الجميع هناك كانوا يعرفون انني احب شاباً اسمه نيكوس. كنت صغيرة جداً. لم افرق بين الحب والصداقة. واكتشفت الآن انني ونيكوس كنا صديقين حميمين فقط.

- نعم انت صغيرة.

ارادت كارا ان تغير الموضوع لتعرف اسباب زيارتها لها في الليل. سألتها:

- ما الذي حصل؟ هل ترغبين في جرح نلز؟

قالت كلير وهي تنظر الى الغرفة التي تنام بها رو:

- هل هي نائمة؟

- ربما.

اومأت كارا برأسها.

فسألتها كلير:

- هل استطيع ان انظر اليها بسرعة؟ انا لست عاطفية ولكن لدي رغبة ملحة في ان اراها وهي نائمة.

قالت كارا وهي تفتح لها الباب:

- على مهلك.

دخلت كلير ومشت بتأن نحو السرير. ووقفت تتأمل الصغيرة ثم رفعت يديها الى فمها لتخفي صوت بكائها. ركضت خارجة من الغرفة وجثت على ركبتيها قرب الاريكة واخفت وجهها بالوسائد. كانت لا تزال تبكي

حين وصلت اليها كارا بعد ان اغلقت الباب.

قالت كلير وهي تجهش بالبكاء:

ـ انها ابنتي. رو هي ابنتي.

١١ - نهاية البيت الكبير

كانت كلير تقول وهي تجلس فوق الاريكة منهوكة القوى، تعبة بعد عاصفة الدموع:

- هذا صحيح. لا استطيع ان اكتم الحقيقة فترة اطول. كان علي ان اخبر احداً. لم اعترف لأي شخص بهذه الحقيقة ولا حتى الى لوكان. لكنه يعرف الحقيقة ولقد اعطاها الحب الذي كان يجب ان اسبغه عليها. كما تعتقد انه والدها. رأيت ان اخبرك بهذه الحقيقة حتى لا تظلميه او تعتقدي انه رجل غير مسؤول ولا قلب له. لوكان لا يتورط في حب فتاة ويغرر بها ولا يأبه بعد ذلك لنتائج عمله...

قالت كارا بحزن:

- تبلغ رو الثماني سنوات من عمرها. ورضيت ان يلوم الناس شقيقك كذباً كل هذه السنوات؟

اجابتها كلير شبه محطمة:

- نعم. رو تشبهه كثيراً منذ ولادتها. لها لون عينيه الخضراوين وشعره الأحمر وابتسامته ونظرته العابثة. لذلك انطلت الخدعة على الجميع. كنت واثقة ان لوكان لن يفشي سري...

واكملت كلير حديثها وعيناها تفيضان بالدموع:

- ومع مرور الزمن لم يأبه لوكان لكلام الناس وهم يتهامسون بانها ابنته. كان يحبها بجنون وهي تعبده. وهذا الحب بينهما كان يزيد من حسد برايد.

سألتها كارا بحماس:

- الم يشك برايد ابداً بالحقيقة؟

ـ لا. كان برايد يؤمن ان لوكان والدها. منذ كان لوكان فتى في سن الطيش، كان جذاباً لا تقاوم الفتيات سحره. كان يلهو معهن ولكنه لم يحطم قلب اي منهن.

تساءلت كارا في نفسها... الم يحطم لها قلبها وجسمها؟ الم يعاملها بخشونة في بيت الشاطىء دون رحمة او حنان؟

ـ انك تنظرين اليّ بعينيك الواسعتين ولا تصدقين. وجهك كله تعابير واحاسيس. انت من اجمل الناس الذين عرفتهم. عيناك كلتاهما حياة تعكسان بصراحة ما في قلبك.

عرفت كارا انها ترى كلير على حقيقتها... امرأة مشحونة بالعواطف تخفيها تحت قناع وهمي وبرودة مصطنعة.

ـ كلنا نلبس اقنعة نخفي تحتها حقيقتنا. نخفي العواطف التي نخجل منها.

سألتها كارا:

ـ ولماذا نخجل من الحب؟ الم تحبي الرجل... والد رو؟

مزقت التعابير الحزينة وجه كلير وامسكت بكارا كأنها تريد ان تنشب اظافرها في لحمها وقالت:

ـ سوف لن احب اي رجل آخر في حياتي كما احببت والد رو. كان جميلاً وخلاباً. كان رساماً تشكيلياً التقيته في باريس حين كنت ادرس الفن والنحت. كنا نلتقي سوية في المقهى. نتحدث ونتجادل ونأكل الدجاج المشوي. كنت احذره ولكنني لم استطع ان ابتعد عنه. كانت تجذبني اليه قوة سحرية لا قبل لي على كسر طوقها. في يوم من الأيام اخبرني ان صديقه يملك كوخاً للصيد في الغابة خارج باريس وطلب مني ان اصحبه لنمضي فيه اسبوعاً سوية.

توقفت كلير عن اتمام قصتها واخذت نفساً عميقاً:

ـ كنت في الثامنة عشرة من عمري. مغرمة به حتى الجنون. لم ار اي خطأ في حبه. كان فناناً موهوباً يحاول ان يصنع مستقبله كما كنت انا فنانة اصنع نفسي. لم انتظر منه ان يتزوجني... ذهبنا الى كوخ الاحلام. كنا منعزلين عن العالم. لا رفيق لنا الا الغزلان والظباء. مشينا في الغابة وتمتعنا بالطبيعة... تحادثنا وقضينا الساعات الهنيئة... وفي يوم، حضرت الى

الكوخ امرأة في الاربعين من عمرها راكبة حصانها، في وجهها مسحة جمال زائل، تتصرف بكبرياء علية القوم. كنت وحدي في الكوخ حيث ذهب ليون يسبح قرب النبع.

. . . هذا الكوخ ملكي. القصر ذو الابراج الذي ترينه بين الاشجار هناك ملكي. كل هذه الغابة- ملكي. حبيبك للاسبوع السابق هو ملكي. . . ليون زوجي. قالت المرأة ذلك ولكزت فرسها وذهبت من حيث اتت. ذهبت الى قصرها ذي الابراج وسط الغابة. . . واصبح اليوم اغبر بالنسبة لي. وقفت مدهوشة وخائفة انتظر عودة ليون. لم اكن اعلم ان ليون رجل متزوج. . . اردت ان اجعله يحبني بقدر ما احبه حتى لا يرضى ان يتخلى عني ابداً.

حين عاد من السباحة اخبرته انني قابلت زوجته. ضحك، وهز كتفيه. هو لا يهتم. اخذ سيكارة واشعلها. كان متزوجاً وكل ما قالته المرأة. . . زوجته كان صحيحاً.

زوجته غنية لن يفترق عنها ولن ترضى هي ان تطلقه. كانا متفاهمين. كانت تريد زوجاً شاباً جميلاً وكان يريد زوجة غنية تسمح له ان يتصرف على هواه ويشبع نزواته ويحقق فنه. كان يعشق الفتاة الشابة فترة حتى يملها فينتقل الى غيرها.

روعتني الحقيقة. ركضت في الغابة ابكي بوحشية ومرارة. كانت كرامتي قد اهينت. وهبت نفسي لرجل مخادع مداهن. رجل لا اعني له اي شيء سوى تحقيق نزوة طائشة ومتعة عابرة. لم اكن اكثر من كسب جديد في حياته.

عدت الى باريس. كنت اعيش مع كابريس في شقة صغيرة. كانت كابريس تعمل عارضة للازياء. وكلما مر لوكان في باريس في رحلة عمل كان يصحبها الى الرقص والعشاء. وقد تعرفت في تلك الفترة الى نلز. كنت سأنسى ليون مع الزمن لو لم يترك في احشائي ذكرى ابدية لا استطيع الهروب منها.

تركت باريس الى هايتي وتظاهرت انني ذاهبة لاتعلم النحت هناك. وبدلاً من هايتي ذهبت الى جزيرة ترينيداد وعشت متخفية هناك لحين وضعت رو. لا احد يعرف انني من آل سافدج. عشت مع احدى

الكاريبيات. كانت تشتري لي حاجياتي اليومية وكنت لا اغادر المنزل الا ليلاً. كانت فقيرة تعمل في الخياطة. اعطيتها ما يكفي من المال لتفتح محلاً للخياطة مقابل آن تذهب في مركب لشحن الموز الى جزيرة دي لوك. ومن هناك تذهب بطريق البر الى خليج التنين وتضع الطفلة على باب البيت الكبير. . .

هدأت كلير بعد ان اتمت اعترافها وقالت:

ـ كنت اعرف ان برايد سيتبنّاها عندما ينظر اليها. سيعرف انها من آل سافدج. . .

قالت كارا بوضوح:

ـ وسيتهم لوكان بأنه والدها.

ـ نعم هذا صحيح. لن يلوم احد برايد لأنه كسيح ومقعد. كان الجميع يعلمون انني في هايتي حيث ادرس. حين عادت مرتا من مهمتها عدت بالطائرة الى باريس. كنت اثق بمرتا وقد طلبت منها ان تترك مع الطفلة ورقة باسمها. . . رو.

عندما عدت اخيراً الى خليج التنين كانت رو قد بلغت الخامسة من عمرها. كنت اخاف ان انظر اليها حتى لا ارى ليون في وجهها. كلها سافدج ولكن الغزلان والظباء كانت في داخلها من تأثير اسبوع قضيته في الجنة. اسبوع انتهى منذ زمن بعد ان حررني من وهم كبير. . . وهم الحب. بقيت لسنين طويلة لا احتمل لمسة رجل. في المدة الأخيرة فقط. . .

جلست تائهة تنظر الى وجه كارا:

ـ كيف لي ان اثق برجل مرة ثانية؟

سألتها كارا:

ـ منذ متى تعرفين نلز اريكسون؟

اجابت كلير:

ـ قبل ان اضع رو.

ـ ان كنت تقصدين نلز، فلا اظنه يريدك لاسبوع واحد فقط.

ـ اخرجت الرجال من حياتي العاطفية وكرست وقتي كله للعمل.

ـ حيث الحجارة الباردة. الحياة بدون حب لا تحتمل. انت لست

انعزالية يا كلير. والانسان يحتاج للحب كحاجته للغذاء.

- الحب فيه امتلاك وعبودية. وسعادة المرأة يصنعها او يشوهها الرجل الذي تحبه.

- رجل يوناني قال... ان ثمن السعادة يدفعه الانسان من الألم. ليس من السهل ان تكوني امرأة يا كلير. المرأة مجنونة رومانسية. عاطفية وحساسة. نحن لا نريد ان نعيش لنأكل ونشرب فقط.

- اعلم ان المرأة الوحيدة تشبه الكنيسة المهجورة كلها صدى للأحلام. نلز لطيف ولكنني لا اشعر معه بالحب الجنوني الذي عشته في رفقة ليون.

- كنت فتاة صغيرة حينئذ. كثيرات من النساء يفضلن الحب الهادىء.

- انت منهن يا كارا. انت تفضلين الحب الهادىء بالطبع. انشغلت عنك بشؤوني وشجوني ولم افكر بمشكلتك يا عزيزتي. حب لوكان لك لن يكون هادئاً ابداً. كان عليك ان تعرفي ذلك منذ التقيته.

- طبعاً. انا لا انتظر من لوكان ان يتغير. الجميع هنا يقولون انه عابث. وانا اعتقد انه شيطان رجيم.

- انه سافدج. نحن متوحشون. نعيش كما نريد ولا يحسب لشرورنا اي حساب. لوكان لا يمكنه ان يصبح ملاكاً...

- انا لا اريد ملاكاً ولكنني اريد رجلاً اثق به.

خيل اليها انها تسمع وقع حوافر من جديد. شعرت بان الخطر يحدق بها من كل جانب.

قالت كلير:

- انت متعبة يا كارا. اشكرك على اهتمامك برو. ربما تعتقدين انني ام غير طبيعية... ربما تظنين ان علي ان اخبر رو بالحقيقة. ولكنني لا استطيع. الحديث الذي دار هذه الليلة سيبقى سراً بيننا. هل تفهمين؟

- لا. لا افهم.

- رو تعتقد ان لوكان والدها. هي تحبه بجنون ولا يمكنها ان تحبني مثله. من القساوة ان احرمها منه. انا ارغب في الرحيل من خليج التنين قريباً. سأذهب مع نلز الى الدانمارك. سنبني حياتنا هناك من جديد.

- رو ابنتك. كيف تفكرين بان تتركيها هنا؟

- لا يمكنني ان اصحب ابنة ليون معي في حياتي الجديدة مع نلز. كذلك

لا يمكنني ان احطم قلبها وابعدها عن لوكان. رو تثق به كثيراً ولو كنت انت لا تثقين به.

الثقة كلمة مرادفة للحب. كانت كارا واثقة بأنها غداً او بعد غد ستبقى وحدها مع لوكان... سيبقى لها وحدها. ولن يكون عليها ان تهرب آلاف الأميال بعيداً عن البيت الكبير في خليج التنين....

بعد مرور خمسة وعشرين عاماً على زواج احد العمال في المزرعة قرر الزوجان ان يحتفلا باليوبيل الفضي لزواجهما السعيد. جميع العمال والخدم في المنزل اخذوا اذناً من برايد ليحضروا الاحتفال.

ستكون الحفلة اهم حدث في خليج التنين منذ زمن بعيد. هناك فرقة لعزف الموسيقى وطاولات محملة بأقراص الحلوى... ورقص وغناء.

كانت رو متحمسة تتكلم مع كارا عن الحفلة وطلبت اليها ان تأخذها لترى العروس التي تحتفل بزواجها الفضي. كانت كلير تدخل الجناح وسمعت ما قالته رو.

ـ إنا اعرف ليلى وجو. انني متأكدة انهما لن يمانعا في ان اصطحب رو معي لتشاهد الرقص. هل تذهبين يا رو برفقتي؟

ركضت رو وعانقت كلير من خصرها موافقة. وكانت فرحة كلير اكبر من ان توصف بهذا العناق العفوي.

لم تذهب كارا الى الحفلة لأنها رغبت ان تترك رو وكلير وحدهما: كانت تتمنى لو تستطيع كلير ان تخبر الطفلة الحقيقة... انهما ام وابنتها.

كان يوم الجمعة بعد الظهر هو موعد الحفلة. خرج الخدم بأبهى زينتهم من البيت الكبير. وذهبت كلير بسيارتها ومعها نلز ورو. كان لوكان في حقول القصب وقد خرج منذ الصباح الباكر ولن يعود قبل الرابعة بعد الظهر.

وقفت كارا في القاعة قبل ان تدخل مكتب برايد. اخذت خطوتين ثم توقفت مترددة. ونظرت الى السقف حيث وقعت الثريا فخفق قلبها لأن السقف كان يتشقق من جديد...

دقت الساعة الثالثة ورأت كارا نفسها في المرآة... نحيلة وقلقة وشكلها غريب. اقتربت من المرآة... لقد تشققت مثل السقف. احست بالبرودة تنتشر في اطرافها. كانت المرآة المكسورة دليل شؤم. وسمعت

الفرس يصهل في الاسطبل وراء المنزل. ركضت ودخلت مكتب برايد. وفتحت الباب وهي تنادي:

- برايد؟

لا جواب. الغرفة فارغة الا من الاثريات النادرة والزيتيات الجميلة.

حدقت حولها ثم مشت الى النافذة ونظرت الى الخارج. كان برايد يترجل عن الفرس الذهبي ذي الرأس الأسود وتمسكت بالستارة فزعة بينما مشى برايد من باب جانبي الى داخل المنزل. تسمرت كارا في مكانها. كانت تعرف انها وحدها مع الرجل الذي يريد ان يؤذيها دون رحمة...

كانت ما تزال في المكتب حين دخل برايد في ثياب الركوب. نظر اليها فأخذت تحدق فيه وقد اتسعت مقلتاها. تمتمت بخوف:

- برايد؟

- نعم يا عزيزتي. برايد الكسيح الذي يمشي من جديد ويركب الفرس من جديد. ربما لا اكون باناقة وجاذبية شقيقي. وانا لم اكن ابداً اتمتع بلياقته وسحره ولا احسن معاملة العمال مثله.

بدأت كارا ترتجف كأن الأرض تهتز من تحتها. وامسكت بالمكتبة كي لا تقع ارضاً. سألته بصوت يرتجف:

- منذ متى وانت تمشي وتركب؟

- منذ سنة تقريباً. لقد انقلب الكرسي المتحرك بي وبدلاً من ان اجد نفسي ضعيفاً لاصقاً بالأرض اكتشفت انني استطيع ان احرك رجلي. كان نلز يعمل لي مساجاً وقد ساعدني في استعادة استعمال النصف الثاني من جسمي. وكما ترين عدت المنافس القوي بل سيد خليج التنين.

- لماذا لم تخبرنا؟ لماذا بقيت تعذب لوكان وتمثل عليه دور الشهيد؟ كنت تطلب منه روحه لأنك مقعد. كان سيفرح كثيراً لو اعلمته بما حدث.

- لسنين عديدة كان لوكان يتمتع بحياته بينما انا مقعد في كرسي متحرك. انا اريده ان يتألم. كنت اتمنى ان يتزوج كابريس المجنونة اللعوب. كانت ستطلب منه الكثير من الاهتمام وسترفض ان تعطيه الولد كي لا تخسر جمال جسمها.

ضحك برايد وصب لنفسه كأساً وقال:

- لوكان عاطفي ولكنه يخجل من ان يظهر عاطفته. كانت والدتي

تفضلني عليه لأنني اشبهها بينما لوكان يشبه والدي. لم تكن والدتي ايرلندية ولا عاطفية. كانت تحب السيطرة وتتمتع بكونها سيدة خليج التنين حيث الخدم والعمال في طاعتها. وكان لوكان يهتم بالعمال من الناحية الاجتماعية... اي يهتم بايجاد العمل الذي يوفر راحة اكبر لعدد كبير من العمال وعائلاتهم.

ضحك برايد من جديد واكمل حديثه:

- لوكان لا يحب العبودية، كالأخوين الايرلنديين اللذين اسسا البيت الكبير في خليج التنين. ولكنني انا جعلته عبداً لي.

ارتجفت كارا واحست ان الأرض تهتز بالفعل تحت رجليها وقالت بصعوبة.

- انت الذي كنت تركب الحصان البارحة ليلاً. وانت الذي ركض خلفي ليدهسني قرب المصنع القديم.

قال يسخر منها:

- لقد اكتشفت سري، ويا للأسف، اردت ان اوهمك ان لوكان يريد بك شراً كي تكرهيه. انت انسانة غير عادية تقدرين الجمال ولك احساس مرهف. انني اهواك واريدك لنفسي.

اتسعت عينا برايد. كانتا مرعبتين. وادركت كارا انها لو حاولت ان تركض لأمسك بها بيديه القويتين. تذكرت ان لوكان سيحضر في الرابعة. عليها ان تحادثه وتطرح عليه الاسئلة لتجعل الوقت يمر حتى يحضر زوجها وينقذها منه...

- انت الذي تحديت لوكان لتتسلق الصخور. هل كنت تأمل في ان يسقط؟

- يا عزيزتي. التنين يحرس آل سافدج. الا تعرفين؟ انت خائفة مني وتقفين امامي تتحدينني كاللبوة.

- لقد قالت دا لوالدتك ان اللوم يقع على لوكان في الحادث. هل تعرف دا انك تمشي من جديد؟

- طبعاً. دا كانت دائماً تحبني وتخلص لي وتفعل كل ما اطلبه منها. ابنها هو الذي اشترى لي الفرس ساتان. الساتان الأصلي بيع خارج الجزيرة من اجل التناسل. كان الجميع يؤمنون انني لن امشي من جديد او احب امرأة

من جديد. . .

مشى برايد خطوة اخرى نحوها. وكادت تصرخ. في تلك اللحظة لمع البرق قليلاً في السماء.

ـ رأيت اجمل منك بين النساء ولكنني لم ار اية فتاة لها عينان سوداوان فيهما جاذبية غريبة كعينيك. عيناك بيزنطيتان مثل هذه المزهرية لا تقدران بثمن.

كانت المزهرية الى شمال كارا. امسكت بها بسرعة ورمتها في المدفأة فتحطمت الى اجزاء صغيرة. ذهل برايد ولم يصدق ما حدث. ثم صرخ صرخة غضب وانحنى يجمع اجزاءها البلورية الثمينة. اغتنمت كارا هذه الفرصة وركضت هاربة الى القاعة.

كان برايد يصرخ:

ـ دا. اين انت ايتها الساحرة العجوز. . . لا تتركيها تهرب! فتحت كارا الباب وخرجت. ولحقت بها دا ولكنها كانت اعجز من ان تستطيع اللحاق بها. ركضت كارا باتجاه حقول القصب حيث يعمل لوكان. . .

لوكان. لوكان. كانت ضربات قلبها تناديه وعلى شفتيها صلاة صامتة تسبح باسمه.

ـ لوكان!

ركضت نحو الفارس الذي رأته يسير باتجاهها. وكأنها في حلم مريع، رفعها الفارس الى جواره بيديه القويتين وقد امسك بجسمها النحيل المرتجف وقربها الى صدره الدافىء القاسي. امسكت بكتفيه وهي ما تزال ترتعد. وغمرها الفرح لقربه منها. شعرت بالأمان. وسمعته يقول:

ـ يا الهي. هذا برايد واقف في المدخل!

عاد برايد الى داخل البيت الكبير. والتمع البرق من جديد بينما كان الحصان يصهل وقد تسمر في المدخل. دوى الرعد واخذ المنزل ينهار. تداعت الجدران وسقطت المدخنة الطويلة. وبدأت الصخور المرتفعة تتدحرج حاملة معها البيت الكبير الى البحر.

كان الصوت مخيفاً كانه وحش مجروح يتألم. تهدم المنزل. وادار لوكان فرسه عن رؤية المشهد المريع ثم سار الى بيت الناظر. ثم ترجل وحمل كارا بين ذراعيه وانزلها الى الارض. وقفا سوية متماسكين مدهوشين كأنهما

طفلان. قال لوكان:

- علي ان اعود الى هناك. ابقي انت هنا يا كارا.

ركب لوكان وعاد يفتش بين الانقاض قرب الشاطىء لعله ينقذ برايد. وعاد بعد ساعات وهو متعب حزين. لقد رحل برايد عنها الى الأبد.

كانت المرارة عند برايد من جراء عجزه قد تحولت الى كراهية نحو لوكان ثم الى جنون اعمى.

كيف فقدت ثقتها بلوكان؟ بقيت في البيت الكبير وهي تعتقد ان لوكان يريد قتلها. كانت راضية ان تموت بيديه على ان تعيش بدونه. كان حبها له اقوى من ان تغرقه البحار الشاسعة التي تفصل اليونان عن البحر الكاريبي.

في المساء، حين عادت كلير برفقة رو ونلز اخبرها لوكان ان البحر قد جرف البيت الكبير واضاف:

- اتمنى ان لا يكون برايد قد تألم كثيراً.

وطلب من كارا ان تخبره عن الحلم المزعج الذي عاشته اخر ساعة امضتها في خلوة برايد وما دار بينهما. ترددت قليلاً. ثم اخبرته كل شيء. كان عليه ان يعرف كل شيء. ولما انتهت من سرد قصتها دفنت رأسها في صدره واخذت تبكي من جديد. قال لوكان بصوت حزين:

- هل حقاً شككت في حبي لك يا كارا؟

- وكيف كان لي ان اعرف انك تحبني؟ كل ما كنت تقوله او تفعله كان من اجل شقيقك برايد.

- الم تشعري بحبي لك في الليلة التي امضيتها معك في منزل الشاطىء؟

ما شعرت به نحوك اعمق من كل الكلمات. كنت دائماً تتهربين مني ولقد انتظرت طويلاً لأجعلك ملكي.

قالت كارا:

- اعتقدت ان ذلك تم ايضاً من اجل برايد. كان عديم الشفقة. كان يتآمر عليك ليجعلني اكرهك... لماذا لم تقل لي انك تحبني؟

قال ضاحكاً:

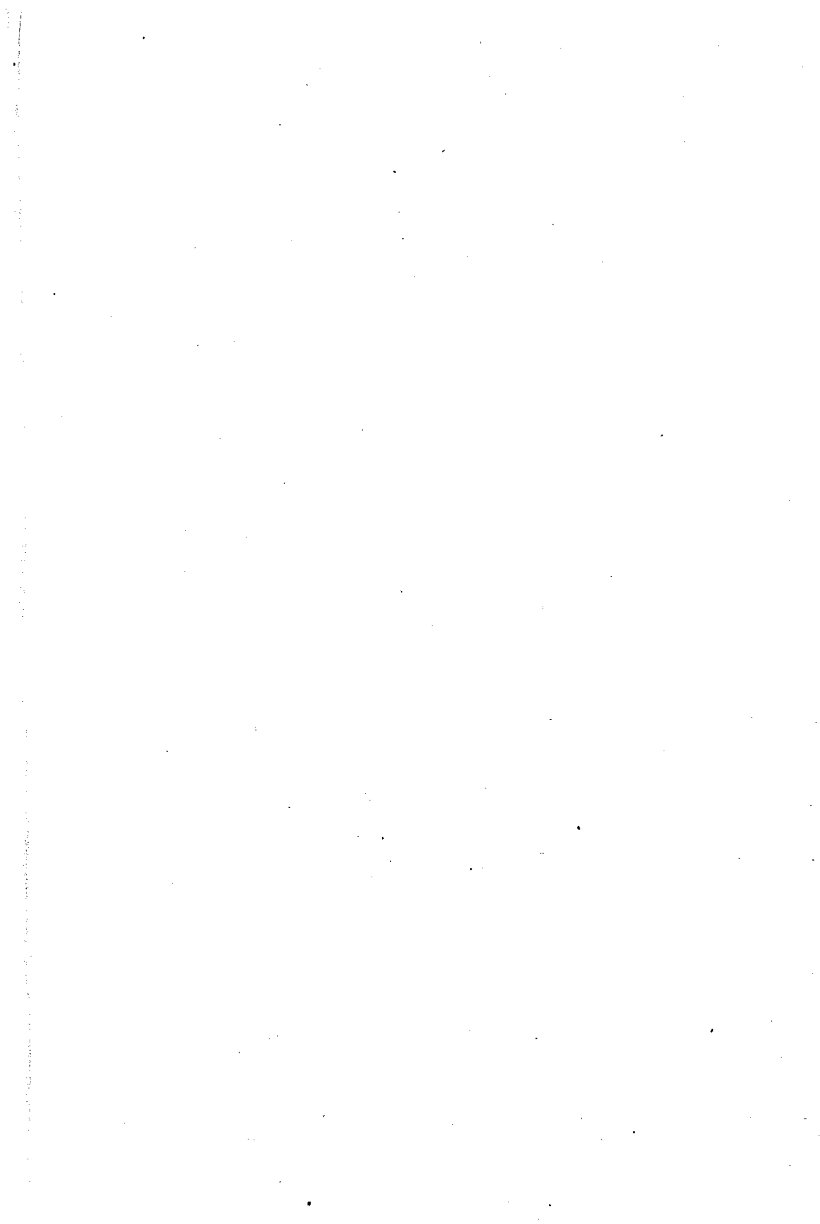
- نحن لا نتكلم عن الحب في خليج التنين.
فقالت له بحنان:
- ولكننا نستطيع ان نفعل ذلك الآن! حاول يا عزيزي. قل لي انك تحبني وتهتم بي.
نظر اليها لوكان بحرقة ثم جذبها الى صدره، وهدأ الألم. تعانقا. ووعدها بالسعادة التي ستغمر خليج التنين.
- سنبقى هنا يا لوكان. سنبني منزلاً جديداً. العمال يحتاجونك هنا. وانا احتاجك اكثر من الجميع.

❀ هَذه الرَوايات هي جوَاز سِفرك إلى عالَم الخيَال والعَاطفة، إنهَا أيضًا بطَاقة للإبحَار في زوْرَق الحُلم خَارج ليْل الوحْدَة

❀ تأخذك هَذه الرَوايات إلى حيث تشعّ منَارة اللقَاء وَيربح الحبّ كلّ جولة مع السّعَادة

❀ في رَوايات عَبير أُصَابع الحنان تغيّر مجرَى الأيَام نحو ربيع المشاعر

❀ إنّهَا دنيَا الحب، تجمّعَت في سطور..



مِنَ القلب ... إلى القلب

